١٠

متن الشفا في حقوق المصطفى

وقف وحبس وسبل وأبد وتصدق [illegible] هذا الكتاب لله تعالى
على طلبة العلم [illegible] الفاضل الشيخ عبد الرحمن [illegible] الشيخ [illegible]
الشيخ عبد الرحمن [illegible] وجعل مقره [illegible] سعادة [illegible]
للقسطنطينية [illegible] سعادة [illegible] ناظر [illegible] الأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآله وسلم قال الفقيه القاضي الإمام الحافظ
ابو الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي رحمة الله عليه
الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا و
وهما الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما و
اسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم
علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحما
زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما
وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره
ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به و
صدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه وسلم تنمو وتنمى وعلى آله تنمي وتنمى
وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين
ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته
ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة

حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم
يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون
وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلوات الله عليه وما يجب له من
توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما
لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال
واعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما
ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ
قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما
يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يضاف اليه او يمتنع او يجوز
عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة و
والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح
تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاوهام
ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك
في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع
قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع
الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
ايمانا ولما اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه

رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد نا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان
بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم
عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك
للحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من البدن و
البال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن
كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو
اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا ويوم
محله وليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان
عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع
يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه
تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى عم وحصرت الكلام
فيه في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر
هذا النبي عم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا
وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه
سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار
ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه الله به
في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في
تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب
الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى
الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر هذا
الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد و
التمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده
وعند التقصي لوعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو
اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره
ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور
الدينية ويتشعب القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من
الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم
الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه
سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته

وذكر الصلاة عليه والسلام وفيه عشرة فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين
اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وآل
النبي عم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينجز الكلام ويتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح
كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق
وتعرض عن الجاهلين وبالله سبحانه وتعالى لا اله الا هو الملك
الحق سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر
المصطفى عم قولا وفعلا قال الفقيه الامام القاضي ابو الفضل
وفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص
بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام
وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة و
الاقلام فمنها ما صرح به تعالى به في كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد
على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزا
الاوفى فله الفضل بدءا وعودا وله الحمد اولى واخرى ومنها
ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال و
تخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة
والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده
حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا

بالتواتر علينا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال
حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن
خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي السنجي قال نا
محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال نا اسحق
بن منصور نا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما
مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد
صلى الله عليه وسلم تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى عم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره
اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة
فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح
الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل
وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او
جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس
وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم
وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم
وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه

الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم

رضي الله عنهما

على هذا بنهوه وشدهم واسلوبهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم
في دنياهم واخراهم وقربه عليه وراقته ورحمته بمومنيهم قال
بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية ومن اسمائه
اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد
الحامدين واكثرهم حمدا ومعه لواء الحمد في القيامة ليتم به كمال
الحمد ويقوم المقام المحمود الذي يحمده الاولون والاخرون ويفتح
عليه من المحامد كما قال ما لم يعط غيره تحقيق ان يسمى محمدا
واحمد او ان يكون احمد الحامدين وافضل المحمودين ولما كان
اسمه بالغا في مدحه لم يحتج بعدما او كثر من ذكر الرسالة وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى من انفسكم
نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه اهل الجاهلية
وعن ابن عباس رضي في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم و
تقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال
جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي
يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا
من جنسهم في الصورة البشرية البسه من نعته الرافة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته وموافقته فقال
جل وعز من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه
وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة

وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته

وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان
الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته
ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
وكما قال عليه السلام اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها
فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية وللمنافق
رحمة بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال
ابن عباس هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن
محمد الصادق رضي في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه
وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال
كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال
مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من
شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل
بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل

وحكي صح

فى هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القران فى
غير هذا الموضع نورا و سراجا منيرا وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع
والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة
وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك
لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى ابن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فى قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال الفقيه القاضى
ابو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان
شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة
ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت
عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه لعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة
رفع الله ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد و
لا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى
كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت

اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى
معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى
قال جعفر ابن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى
بالربوبية واشار بعضهم فى ذلك الى الشفاعة ومن ذكره
مع ذكره تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا
الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه الصلوة
والسلام حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما
اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمرى قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو
داود السجزى قال حدثنا ابو الوليد الطيالسى قال حدثنا شعبة
عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم ما شاء فلان قال الخطابى ارشدهم صلى الله عليه
وسلم الى الادب فى تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه
واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله عليه
وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم
انت قم وقال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما
كره له الوقوف على يعصهما وقول ابى سليمان اصح لما روى
فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعانى
فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى هل يصلون

وضربهما الوصا...
وجعلا مشتر...
المتعاطفين فى ...
به قال على التعظ...
ثم لدلولتها على ...
شهاب

ولجمعه على الله وملائكته امرا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن
الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله
عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه
لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى قل
اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية
والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو
الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه قال هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق
والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى الآية انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآية
اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه

هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في
قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما
يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على
امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد
بن عتاب حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله
تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق
ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة

لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته و
العدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي
به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة
واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء
متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله
تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب
ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله
سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان
الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه
الاية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقوله تعالى امة وسطا اي عدولا خيارا ومعنى هذه الاية
وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل

الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم
والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع وعن الحسن ايضا
هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند
ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها
في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد
الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى
السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب
لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم
اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن
الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم
اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط
القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اخبره الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج

عليه في الوقت لهم قال القاضي ابو الفضل الفقيه رضي الله عنه
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
ان يتأدب بادب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاورته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية
وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب
على الكل المستغني عن الجميع ويستثيره مافيها من الفوائد وكيف
ابتداء بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان
كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد
الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون
بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ماعتبه عليه و
خيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه برائته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال
ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر
عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل
الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن

فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ
الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن
قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية
فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال
الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على
كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه صلى الله
عليه السلام وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول
يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم
قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق
اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم واصله بضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما
برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحياة
احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال
تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في
معنى يس على اقوال حكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها

حكاه وقد قيل في يس أنها من أسمائه وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال
هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد و
قيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن
كعب يس قسم اقسم الله عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك
لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح
فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم
اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه
وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تبارك وتعالى لاحد من انبيائه بالرسالة
في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال
انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم ولا فخرا وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال لك او
حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته
بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان
السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد
ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين
قال امنها الله عز وجل بمقامه فيها وكونه بها فان كونه
امان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال اراد

من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام وما ولده
فهي ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة
القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس
هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك
وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل
والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه
الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم الله تعالى وقيل جبل محيط با
الارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد الصادق في تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد
صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير
الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى
الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى
جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال الفقيه القاضي الامام تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
وتنويهه وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به
من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى و
هذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته

لذاته بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى
قال ابن اسحق اى مآلك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة
الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه
آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى
الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب
فى الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها ولا يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عدّه الله تعالى عليه من نعمه وقرّره من آلائه قبله فى بقية السورة
من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى
ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه قيل آواه الله وقيل يتيما لا مثال
لك فآواك الله وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله
فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة التحديث بها وهذا خاص له عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم باقاويل
معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر انه محمد صلى
الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل فى قوله
تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا

اسم و مان او تعهد فى تقدير رجوعك
من الدنيا الى الله فى الآخرة شهاد

هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الآيات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على
هداية المصطفى عم وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحى
يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه السلام وهو الشديد
القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى
سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه
الكبرى وقد نبّه على مثل هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما
كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت وشاهده
من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم
فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل
النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب
الايجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام
عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى
قال القاضى ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله
تعالى بتزكية جملته عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الآفات
فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله
ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه لقول
رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى
مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى
السماء امين على الوحى وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع
الاوصاف اليه ولقد رآه يعنى محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل
فى صورته وما هو على الغيب بضنين اى بمتهم ومن قرأه بالضاد

٧ على بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
تدل على هذا الله وقال غيره م

فعناه ما هو بحل بالدعا به والتذكير بحكمه وبعله وهذه لمحمد صلى
الله عليه وسلم باتفاق فقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الايات
اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله
محسنا خطابه ما انت ٮ درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما
عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا
يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما
اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به
من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الايات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع
المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه
ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من
اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم الله تعالى وقيل معناه يا رجل

بنعمة ربك بمجنون وفيه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى صح

معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي
اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال نا ابو ذر الحافظ قال نا
ابو محمد الحموي نا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال نا عبد بن حميد نا هاشم
بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي الله عنه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل
الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى
ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه
من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك
غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت
اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
الى اخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية
قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه
ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم

قبله ومضيهم بهم وسلوه بذلك عن محنته بقتله من كفار مكة
وانه ليس اول من لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله
عز وجل فتول عنهم اى اعرض عنهم فما انت بملوم اى فقد ادّيت وما
بلغت وابوغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلوه الله
تعالى بهذا فى آى كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع فيما اخبر الله
تعالى به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا
وخطوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره
ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله تعالى
الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم و
نعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه
لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم
جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
على ابن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث نبيا من آدم فمن بعده عليه السلام الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى
ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدى
وقتادة فى آى تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الاية الى قوله شهيدا روى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى
صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبيا وذكرك فى اولهم فقال
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابى انت

بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار
يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول الانبيا فى الخلق وآخرهم فى البعث فلذلك وقع
ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا
صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ
الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد
بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبيا اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد
صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب
الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها
النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه
الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح الفصل الثامن فى اعلام الله
تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما خرج النبى
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية
وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم
الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم
ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه
بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين

عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم و
ديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله تعالى عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي قالوا نا ابو يعلى ابن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن
محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن
وكيع نا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت
فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي وقيل من البدع
من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق
فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن قال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه
وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلوة
والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول
قوله عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على
هذا اي في صلوة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم
القيمة والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم
الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال الله

قال الله تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان
الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اي وليه وناصره
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
علي وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا تعالى باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته
وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم
اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي
جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عند الله لا اله غيره منة بعد منة
وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك
وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه تمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح
اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته
المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها الله في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة
ونذيرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله
ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اي تجلوه وقيل

تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظموه وقال
بعضهم وتعزروه بزايين من العز والوكز والاظهر ان هذا الخطاب
في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى
قال ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم
مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي
من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية
وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة
بلوغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعل حبيبه واقسم بحياته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج
حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له
ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي
انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند
البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد العقد بيعتهم اياه وتعظيم
شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان
القاتل والرامي في الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومشيته ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك
الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك
قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها على
المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما

رميتهم اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز
من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم
في ذكرنا قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة الاسراء سبحان و
النجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك
من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفعه الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد
تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه
عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره
اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه
الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير
الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى فقال تعالى ان شانئك
هو الابتر اي عدوك ومبغضك الابتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد
او الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الاول والقرآن العظيم ام
القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سايره وقيل
السبع المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب
مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن
مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القرآن مثاني لان

القصص ثم فيه وقيل سبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى
وانزلنا اليك الذكر وقال جل وعز وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال
القاضي رضي الله عنه فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى
الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر
فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم با
لنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى
احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم الباب الثاني
في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع فضائل الدينية و
الدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في
البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي
على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل
ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة
فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف النسب

وشرف النسبة وعز قومه وكرم ارضه ويلحق به ما يدعوه ضرورته
اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد
تلحق هذه الخصال الاخروية بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة واما
المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو
والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن
الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون
فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى والدار
الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول
السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وفضلها فصل قال القاضي رحمه
الله اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا
يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب
او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره
ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه
قول ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود
والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد
ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة

ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضاء والسؤال
والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن
العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة و
الحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكلم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع
الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر والشمس
وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصا ورؤية ما وراءه والعصمة من الناس ما لا يحويه محفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ومفضله به لا اله غيره الى ما اعده له في
الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادانيها الوهم **الفصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع
بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا
واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي
هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة
بذلك من علي وانس ابن مالك وابي هريرة والبراء ابن عازب
وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة

وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي
الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر
اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن
والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن
ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول
الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن
مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رؤي كالنور يخرج
من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن
ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة في حلة
حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي
الله عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال
جابر بن سمرة رضي الله عنه قال له رجل كان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان
مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا
بعده مثله والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه
الكفاية في القصد الى المطلوب ان شاء الله تعالى وقد ختمنا

ازهر رنگ

هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله فصل
واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة ثنا سفيان
ابن العاص وغير واحد قالوا انا احمد بن عمر ثنا ابو عباس الرازي ثنا ابو احمد
الجلودي ثنا سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن
انس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولو مسكا ولو شيئا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار
قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسالها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من
اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وروى المزني رضي الله عنه عن جابر اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم
على مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم
انه اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت
لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي
في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت النبي صلى الله عليه وسلم
انك تاتي الخلاء فلا نرى ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا
الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه

حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج
ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون
من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح
طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل
النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك ابن سنان دمه
يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن
تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه
الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه و
قد روي نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امراة شربت بوله
فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر احدا منهم بغسل فم و
لا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم
الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة
واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن رضي الله عنها وكانت تخدم النبي
صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته ولم اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وقد روي عن امه امنة انها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وقد روي عن عائشة رضي الله عنها
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه
اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يغسله غيري فانه لا يرى احد
عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله

عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضا قال عكرمة
لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا الفصل واما وفور عقله وذكاء
لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله
فلا مرية انه كان صلى الله عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم ومن
تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة والخاصة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من
الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب
منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما
لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب ابن منبه قرات في احد
وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح
الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين وفي الموطا عنه عليه الصلوة والسلام اني لاراكم
من وراء ظهري ونحوه عن انس ابن مالك رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زادها الله تعالى
في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر من بين
يدي واخرى اني لابصر من قفائي كما ابصر من بين يدي وحكى
بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته
صلى الله عليه وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى
صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس له حين وصفه لقريش والكعبة
له حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما

نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره
وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك
وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا به ابو محمد بن عبد الله
بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني ثنا ام القاسم بنت
ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن
محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام
نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على
الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص
نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة
بما راه من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله عليه
وسلم صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك
يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما
الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان
ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط
من صبب الفصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم السنة العرب ومعاني العجم فكان يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار

واهل الحجاز ونجد كمقوله مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة
العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت و
ملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله صلى الله عليه و
سلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن
اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد
ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة
ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم و
لا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن
كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب و
فيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهور لما
كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم
هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية
السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا فقال له النبي صلى الله

صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما
كلامه المعتاد وفصاحته صلى الله عليه وسلم المعلومة وجوامع كلمه و
حكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافى
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما له
ترى والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم
وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم
مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث
كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها
غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها
الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة من
مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره و
حاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق
اليها ولا قدر احد ان يفرغ قلبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف
انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها

ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في ادنى حكمها وقد
قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل
القران بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى انا افصح العرب بيد اني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له صلى الله عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية وجزا
لتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي
مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له
حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير
الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم الفصل واما شرف نسبه
وكرم بلده ومنشأه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل
ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش
وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل
مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ثنا قاضي القضاة حسين
بن محمد الصدفي رحمة الله عليه نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف
نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل نا قتيبة بن سعيد نا يعقوب بن
عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن عباس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني ثم تخير البيوت فجعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن

عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
اختار خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار
منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان قريشا كانت نورا
بين يدي الله قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب
الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح
قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
المشهور الفصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة
اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال
فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كا
الغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس و
امتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة
والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا
ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم
المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا و
اقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من

يحذرن الفتن ولا يوقل هذا ما وقع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه
لا سيما بارتباطه بالعدم بالوحشة نا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه نا ابو
الفضل الاصبهاني ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد بكر بن سهل نا عبد الله
بن صالح نا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعا شرا من
بطنه حسب للمسلم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه و
ثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان
الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عايشة
رضي الله عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان
في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما سقوه شرب ولا
يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله
ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم
لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة ولنا هدية
وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضا عن العبادات وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل
حتى يشبع وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا والاتكا
هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيية يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث في الاتكا الميل على شق عند المحققين و
كذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة

ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان
نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم
لانه على جانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضا
الباطنة لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه و
الطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم
يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل
الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس رضي الله
عنه افضل هذه الامة اكثرها نسا مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد
قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباه ونهى عن التبتل مع ما فيه من
قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من
كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلما
مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن
عمر وغيرهم رضي الله عنه غير شي وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان
قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله
عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله تعالى عليه بالعجز عما يعده
فضيلة وهذا عيسى عليه الصلوة والسلام تبتل من النسا ولو كان كما قررته
لنكح فاعلم ان ثنا الله تعالى على يحيى عليه الصلوة والسلام بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلما وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا
ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة

في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل
في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة نفس كعيسى عليه الصلوة والسلام
او بكفاية من الله سبحانه كيحيى عليه الصلوة والسلام فضيلة زائدة لكونها
تشغل في كثير من الاوقات حاطّة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن
بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه وان كانت من حظوظ دنيا غيره
فقال صلوات الله عليه وسلامه حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب التي هي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في
الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه و
كان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
فلذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى
عليهما الصلوة والسلام في كفاية فتنتهن وزاد عليه الصلوة والسلام فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه الصلوة
والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان ابن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان

سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان في ظهر سليمان
عليه الصلوة والسلام ماء مائة رجل وكانت له ثلث مائة امرأة سرية وحكى
النقاش سبع مائة امرأة وثلث مائة سرية وقد كان لداود عليه الصلوة
والسلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بتزوج
اوريا مائة وقد نبه الله ذلك الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة في حديث انس رضي الله عنه فضلت على الناس باربع با
السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء
عادة وبقدر جاهه وعظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة
فلذلك ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذونه اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره و
قضوا حاجته واخباره صلى الله عليه وسلم في ذلك معروفة سيأتي
بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها
لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى هذا الفصل نظمنا هذا
القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات فيه في التمادح
والتفاضل بسببه والتفضيل لاجله لكثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه و
الا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له

في حياته وسماحه من اعتنائه وانفاقه وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له
غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة
النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هي
للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيل فوائد المال وان لم
يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه
في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من
ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به
غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي
منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت
منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها
وقال الان استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في
نفقة عياله واقتصر نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج

الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس
والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط
المروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك
وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك
زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها
وبذلها في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة
والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع
على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي رضي
الله عنه مثله وكان فيما ذكر المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته و
اول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية
ربانية وهكذا سائر الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ
صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من موسى ويحيى وسليمان عليهم
الصلوة والسلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجملة واودعوا العلم

والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال المفسرون
اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه و
هو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى عليه السلام
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها ان لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى
قول من قال ان المنادي عيسى عليه الصلاة والسلام ونص على كلامه
في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان و
هو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود
ابوه عليهما الصلوة والسلام وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك
اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه الصلوة والسلام مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال
ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم
صلوات الله عليه بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان
القاء ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء
اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكواكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف
عليه السلام وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك مما ذكر في اخبار
غيرهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا صلى الله

عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء
وقال في حديثه لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم يتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق
دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى
كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف
فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان
الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود و
الحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال
عمر رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء
وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير
الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى اما اصل
فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي ينبعث منه
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه
صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه
اذ جلالة محله من ذلك وما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري احواله

واطّراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبديع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسة الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبيا اميا لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب والمحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال حتى اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال الله تعالى واصبر على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

الآية وليس بخاف ما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه

رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من
يمنعك مني فقال الله تعالى فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد علم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته
وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا
يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت
حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال
الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم وقال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي
ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى
الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة
رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله عز وجل وما ضرب خادما له ولا امرأة وجيء اليه برجل
فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تراع
ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه
وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك
احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله
ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه

اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها
في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة
الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه
وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد
على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا النبي صلى الله
عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب
اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول و
يحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما
احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضا صلوات الله عليه وسلامه الفصل واما الجود والكرم
والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا
الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية
وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه نا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي نا القاضي ابو الوليد الباجي نا ابو ذر الهروي نا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي نا ابو عبد الله الفربري نا
البخاري نا محمد بن كثير نا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله

رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن ابن
وسهل بن سعد مثله وعن ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في رمضان وكان اذا لقيه جبريل
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا سأله فا
عطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم
مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال
له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا
ستة الاف واعطى العباس رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ ابن عفراء اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد
قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى
الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه كثير وعن ابي هريرة
رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه
قضاء ونصفه نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وقد قال ابو
علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم الجادين وتكلم في الفتوة
على رأيهم واصطلاحهم في الخاطر وهي غاية الكرم والايثار ان هذا الخلق
بكماله لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة
يقول نفسي نفسي ويقول محمد امتي امتي صلى الله عليه وسلم الفصل واما الشجا

واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل
والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف
وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة
وحفظت عنه جولة سواه صلوات الله عليه وسلامه ثنا ابو علي الجياني فيما كتب
الي قال ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء رضي الله
عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلوات الله وسلامه لم يفر
ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي
يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم
عن بغلته ذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال لما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ
بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت
اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس و
احمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو
لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس

واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل
الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف متقلد به لن ترا
عوا وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان
اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر
عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي
بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات
بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه
خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات
اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية
وحدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم
بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي
قال حدثنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسمعيل قال حدثنا عبدان قال
اخبرنا عبد الله قال اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله
مولى انس عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه
في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو و
يصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام
وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام
اليه مما يكره وعن عائشة قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس
لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف
الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال
حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود
قال حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم
قال حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثنا محمد بن عبد الرحمن
بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ
عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الاية وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية و
عليه
لو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله
وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته ولا لشيء تركته وعن
عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن
عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني
الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة
والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله
ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل
هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم
ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ
اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على
احد يكرم من يدخل وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم

ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان
ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرأفة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال عز وجل فيه عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطاه اسمين
من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه
قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي
قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قال حدثنا ابو
الطاهر قال اخبرنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي
ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل صلى الله عليه وسلم اليه وزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل
رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها من
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليهم وانا سليم
الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله
عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل
ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته
لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في
صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه
بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة

عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت ترده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل و
اما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا
القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد
قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن
الاعرابي قال اخبرنا ابو داود قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن
الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته
ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه
فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها
كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت
على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة
فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد
صلى صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا
سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا
مكرمين واني احب ان اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي

مكرمة محببة ومتعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فعفرها وقال ابو
الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى
دنت منه فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا امه التي ارضعته
وعن عمرو بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت عليه
ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل
اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت
سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة انها قالت
له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فصل
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك
فان الله قد اعطاك بما تواضعت انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول
من ينشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه
بقراتي عليه في منزله بقرطبه سنه سبع وخمسمائه قال حدثنا ابو
علي الحافظ قال حدثنا ابو عمر بن عبد البر قال حدثنا ابن عبد المومن قال
حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا عبد الله بن
نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي
غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا
على عصى فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا
وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب
دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس

المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها
شي جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق
المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست النبي صلى الله
عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظه على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا
وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس
قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا
تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف
في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله عز وجل وعن
عايشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم رضوان الله تعالى
عليهم في صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته
مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة
من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به
حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته
رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش
تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه

عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال
فوثبت الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله
عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن
الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له
بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان
يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين
قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله
اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى ابن زوج الحرة
نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معوية
بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فا
نزل الله فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت
فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال
له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق
ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط
وسال هرقل عنه ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان
يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى

حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال في
الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس
المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم
المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن
نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزا لله وجزا لاهله وجزا
لنفسه ثم جزأ جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري
عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل
الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى
معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وتؤدته وتوقيره ومروته وحسن
هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال نا ابو
العباس الدلائي قال اخبرنا ابو ذر الهروي نا ابو عبد الله الوراق قال
نا اللؤلؤي قال حدثنا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا حجاج بن محمد عن

عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة
بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا
يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس في مجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه
صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القر
فصاء وهو في حديث قيلة وروى وكان صلى الله عليه وسلم كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه
تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وفي صفته كان يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير عرض و
لا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثا لو عده العاد احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الي
من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال
الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم

وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين
بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال
حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان
نا ابو الحسين بن الحجاج نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية
اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال
وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث
ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي
الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف
لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واتضرع اليك
وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم
فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا
وتكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من
لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك
الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها ان كنا آل محمد لنمكث
شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز
الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم نحوه وقال ابن عباس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله

صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة
سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة
باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله
فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه
من الغناء وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلة من الجوع فلا يمنعه
صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد
عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به
من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو
اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل
ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم
وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعده
الا شهرا حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه فصل واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد
بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي
نا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن
الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون

لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني شجرة تعضد وروي هذا
الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة
وابي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء
ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف
بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا
ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف
فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم
قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد
نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال
عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله ابن الشخير رضي الله عنه
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل
قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين

قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة
وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي
فصل اعلم وفقنا الله واياك صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله و
سلامه عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفات لانها صفات الكمال والكمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم اشرف الرتب
ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال الله عز وجل ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم عليه الصلوة والسلام طوله ستون
ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا هو رجل ضرب
رجل الشعر كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة
موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى نبيا من بعد لوط عليه
السلام نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصورة
وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل
وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب
قومها وقال تعالى في ايوب عليه الصلوة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب وقال عز وجل يا يحيى خذ الكتاب الى قوله ويوم يبعث حيا وقال
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا

ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال
حكاية عن عيسى اني عبد الله آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده
شيء استحياء الحديث وقال تعالى فوهب لي ربي حكما الآية وقال في صفة
جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة
من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام
عليم وحليم وقال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى قوله امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال اسمعيل انه
كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى عليه السلام انه كان مخلصا
وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود عليه
السلام انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا وقال في
شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
لوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية
قال سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله
صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه

وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله عز وجل
وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام مالك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خفف على داود القران فكان يامر
بدابته فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا يأكل الا من يده قال الله تعالى
والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلوة
الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما حيا
من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف
سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام
لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس
الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان
احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء
مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه
وسلم لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان
ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله

من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرا في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا
يخالط وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش
ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله عز وجل بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله صلوات الله عليهم
وسلامه مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب
بعض جهلة المورخين المفسرين مما يخالف هذا فصل قال المولف رحمه الله
تعالى قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة و
خصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلوات الله
عليه وسلامه ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور
ومن المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا
ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمائله
صلى الله عليه وسلم واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا
الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر بن عبد الله الحسين النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا اخبرنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال ابو سعيد الهيثم
بن كليب الشاشي قال نا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان
بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا
عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما

قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني
قال واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن ابي الحسن بن خيرون
قالا ثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد شاذان بن
حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال ثنا ابو محمد الحسن بن محمد بن
ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي رضوان الله عليهم اجمعين قال
اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن
الحسين بن علي ع واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن
حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف
لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من
المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا
يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج
الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور
يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم
اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين
المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين و
القدمين وسائل الاطراف او قال سائن الاطراف سبط العصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت

قال قال الحسن بن علي

حلية النبي عليه الصلوة والسلام

التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم
الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير
دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم
يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها
واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي
زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا
قال الحسين سألت ابي رضوان الله عليه عن دخوله رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى
الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا
لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل
باذنه قسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسألته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب
بلغوا الي حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجته من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره يدخلون روادا قال في حديث
سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون

ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن
احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة
ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه
الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة و
اعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا
يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه
وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث
الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا
ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحد

الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا
من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى
الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير و
التفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاده الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله تعالى والحمد لله فصل في تفسير غريب هذا الحديث
ومشكله قوله متشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اذا انفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصة وازهر اللون
نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهكذا قال
في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع
البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب
اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى
المائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن
اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين
واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق
الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحدد فيها كما يوجد في اسنان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر

والشعر بادن ذو لحم وتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال سائل بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم مسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم عليهما السلام اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين ومسيح القدمين اي املسهما والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح

تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرون بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل من مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في صفته صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لا خلاف انه صلوات الله عليه وسلامه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله عز وجل واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم

اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثنا

ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن
ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله عز وجل واصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى
واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون فانا من السابقين وانا خير
السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله
سبحانه وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على
الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم ومن حديث رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا
فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن
عايشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار
بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل
ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن
عباس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار
في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط الى هذا اشار العباس بن

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم بقوله من قبلها
طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق في ابيات اخر وروي
عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن
عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة
واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي
رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت
الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم
من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود
الجن وفي حديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب جوامع الكلم وبينا
انا نايم اذ جئ بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه
وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم
واني شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح
خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع
الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله
عنه بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله عز وجل ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت
اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك

وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك
ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك
شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني
ربه عز وجل اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء
الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته مدة ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزات القرآن يقف عليها قرن بعد
قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله
عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين و
انها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض
بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله و
خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى
ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان الله فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله
على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه
الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا قالوا فما فضله على
الانبياء قال ان الله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية وقال

وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن
معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس
بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له
قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا
انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا
بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي
فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك
الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم
في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم
اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان
جبريل عليه السلام قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان
سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته
لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين
عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله
معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما
ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما
ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي
ويروى وتقبل توبتي فقال الله تعالى له من اين عرفت محمدا قال رأيت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى

محمد عبدي و رسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآجري
فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه
ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى
سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد
او محمد اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس
في قوله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن
ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي و
عن ابن عباس رضي الله عنه على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في
بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله و
على الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر
بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن قاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله

عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان
الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما فصل في تفضيله بما تضمنته
كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج
به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه
صلوات الله عليه وسلامه قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال تعالى و
النجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن و
جاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد صلى الله عليه وسلم فيه
احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما
والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس
العذري حدثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو محمد ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة
ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم

صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس صلى الله عليه
وسلم فرحب بي ودعا لي بخير قال عز وجل ورفعناه مكانا عليا ثم عرج
بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا
انا بموسى ... فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسند ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق
الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي
خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه الصلوة والسلام
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت له يا رب خفف عن امتي فحط
عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم
وليلة لكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت

الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس رضي الله عنه
ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا فقد خلط فيه غيره عن انس
رضي الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في
اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي
وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر
قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها
كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه
من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من
حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى
بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت
المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى
يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم
غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ
عنها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة
وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيه تقديم
وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السماوات وحديث
ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل
نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم عليهما الصلوة والسلام
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي

حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الالوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
اكثر ما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في
جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك
خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك فقال هذا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من
اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
وذكر كلام كل واحد منهم وهو ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه عز وجل فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان
فيه تبيانا لكل شيء وجعل امتي خير امة وسطا وجعل امتي هم الاولون
وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد عليه الصلاة والسلام
ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي
ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي
هريرة من طريق الربيع بن انس رضي الله عنه فقيل لي هذه السدرة التي
ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج
من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من
خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما ورقة منها مظلة الخلق فغشيها الملائكة قال فهو قوله سبحانه
اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى فقال انك اتخذت ابراهيم

ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب
الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون
وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي و
جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته
المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآية رأى جبريل في صورته
له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل
كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن
ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء
ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد
ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر
فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل
علمه بالله سبحانه علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني
الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر
البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان
جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله
من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن

تبارك وتعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق انى لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر قيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم
قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا
الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا
عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى
الله عليه وسلم فقدمه فأم اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل فهم المحجوبون والبارى
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث
واما خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال حجاب من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته و
جبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك
الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله
عز وجل لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف
اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او مبادى حقائق معارفه
مما هو اعلم به كما قال واسأل القرية اي اهلها وقوله تعالى فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله
عز وجل ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله

الا وحيا او من وراء حجاب الاية وهو لا يراه حجب بصره عن
رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في
غير هذا الموطن بعد هذا او قبله ورفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله سبحانه
اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع
اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن
الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقد
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس رضي الله
عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد
في اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة و
عمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود و
الضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وسعيد بن المسيب وابن شهاب وابن
زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين و
هو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت
طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم
به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قالوا ولو كان الاسراء بجسده
الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه
الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن

ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان
شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية و
صحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل
الا عند الاستحالة وليس في اسراء الجسد وحال يقظة استحالة اذ لو كان
ذلك مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما
طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من
المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن
جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبياء
ببيت المقدس وفي رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر
مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه
الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم
عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل
سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي
الله عنه هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في
الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هانئ ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان
قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا
معه قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون

كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول
الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية
ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي و
انا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة
ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح
عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم لقد
رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد
روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده
يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا
عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان
كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في
اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما
وقوله في الحديث الآخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو
نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس

في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت
وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من
نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان
في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من
عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة
الملا الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال
البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا
الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله
عز وجل ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت
له في هذا الاسرى حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا
عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه في رواية عبد بن حميد عن همام
قال بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى
ان هذه الزيادة من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة
في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته
اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كانت في صغره صلوات الله
وسلامه وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا
باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان
انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه من غيره وانه لم يسمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبطه

من يضبطه ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرى متى كان فان الاسرا
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة
بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد
ذلك عايشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر
غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا
فليس حديث عايشة رضي الله عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا
نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث
عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل
هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد
قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل
على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله عز وجل
ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير
في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته صلى
الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة
رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه
قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي
يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمد بن ادم نا وكيع عن ابن ابي
خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل راى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو

المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما راى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من
المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى
عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن
اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم
والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روى عنه ذلك من طرق وقال ان الله
اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الما
وردي قيل ان الله سبحانه قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال
اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا قد راى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال و
قال ان الله قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام
فكلمه موسى وراه بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال
راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وحكى السمرقندي عن محمد
بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل
رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم
يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله
لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل راى محمد ربه
فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال
احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال

سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن
ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة
راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد
بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال
ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء
صلوات الله عليهم فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم
بتفضيل الرؤية ووقف بعض شيوخنا في هذا وقال ليس عليه دليل
واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه
والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته عز وجل في الدنيا جائزة عقلا
وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه
السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل
لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله جل جلاله لن تراني اي لن
تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثالا مما هو اقوى من بنية موسى
واثبت وهو الجبال وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته تعالى في الدنيا بل
فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها
اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على
منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في
الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به
وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك

لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست
على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا
فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت
اليك اي من سؤال ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني
اي ليس لبشر ان تطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت
لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا
ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمة الله عليه قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا
باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره
على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم من قوة بصر موسى و
محمد صلى الله عليه وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما
ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته
عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك خر
صعقا وان الجبل رأى ربه عز وجل فصار دكا بادراك خلقه الله
له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر
بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى عليه السلام رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم له اذ جعل دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول انه رآه بعينه
فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما
مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية و
حديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي
ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا
انه روي نورا اني اراه وفي حديث الآخر سألته فقال رأيت نورا و
ليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا حجبه ومنعه عن رؤية
الله تعالى سبحانه والى هذا يرجع قوله نورا اني اراه اي كيف اراه مع حجاب
النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر
لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب وكيف شاء لا اله غيره فان
ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب الفصل واما ما ورد في
هذه القصة من مناجاة الله عز وجل وكلامه معه بقوله فأوحى
الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي
هو الله تعالى الى جبريل عليه السلام وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه
السلام في قوله تعالى دنى فتدلى قال فارقني جبريل عليه السلام فانقطعت
الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن

ادْنُ وفي حديث انس في الاسرآء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشآء فقالوا هي ثلاثة اقسام من ورآء الحجاب كتكليم موسى عليه الصلوة والسلام وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء صلوات الله عليهم واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في القلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسرآء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله عز وجل من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من ورآء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيآء صلوات الله عليهم جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه عز وجل لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص على ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السمآء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شآء بما شآء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث الاسرآء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل صلوات الله عليهما او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب

اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب جل جلاله دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال النقاش وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل وتعالى فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسرآء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه عز وجل فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد الصادق ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال جعفر ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله عز وجل فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله عليه الصلوة والسلام ينزل ربنا الى السمآء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق

جل جلاله ولا تحد وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير
عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم
وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة
المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من
تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
اى قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة بخصوص
الكرامة حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا
ابو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي
نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا
بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن ربيع بن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا
لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف على الف
خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن
سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول
من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله
عنه انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع

مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس
انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي
صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع
الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال ارجو ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة
وفي حديث اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم
قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله صلى الله عليه
وسلم انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة و
لكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره
اذ لجأ الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ
الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر ثم
لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له سبحانه في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد صلى الله عليه وسلم
جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب
فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب

والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة و
صنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن
عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة
بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي
وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء ابنتا ابي بكر وخولة
بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت
بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين
بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت
احمد قالت نا ابو الهيثم نا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي
ابو الوليد نا عبد بن احمد نا ابو الهيثم نا عبد الله محمد بن يوسف نا محمد
بن اسمعيل نا عبد بن محمد نا ابو عامر فليح نا ابو النضر عن بشر بن سعيد عن
ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن
طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن
عباس رضي الله عنه جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر
ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم وسلم وقال قد
سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك و
موسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم
اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع ولا فخر وانا اول من

اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى
الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه عز
وجل وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه
السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال له الملك حاجة قال اما
اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف و
الالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين تعالى ذلك في كتابه بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة
لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذن تسمية ابراهيم ومحمد صلى
الله عليه وسلم وصلوات الله عليهما بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه الصلوة والسلام

لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل
المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع
من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال
في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله و
الانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص
الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه
يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت
مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي و
اذا ما سكت كنت الغليلا فان مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصله
لنبينا صلى الله وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتعلقات با
القبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى
اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله عز وجل غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فقرنها شرفا بامرهم
بطاعته عليه الصلاة والسلام وقرنها بطاعته جل وعز ثم لا توعدهم

لا توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد
نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة
والخلة يطول جمله اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر
منه اطرافا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي
يكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك الاية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له
يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة
حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي
لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي
بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما
ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والا
حوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل في تفضيله
بالشفاعة والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم قال تعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به
الي بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد
وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسماعيل قال نا اسمعيل
بن ابان نا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان
الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان
اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك

مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى عن كعب بن مالك عنه عليه الصلوة و
السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام
المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة
الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود
رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن
وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال
ذلك يوم ينزل الله على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه صلى الله
عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين
وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال
شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام
حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من
بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم
قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله
وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة
الجنة فتبقى آخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم ويصيحون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره

وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد
وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله
فيه قال قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس
نحوه وقال فهذا المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله
عن ابي هريرة رضي الله وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام
المحمود شفاعة يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه صلى الله
عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة
المسلمين وبذلك جاءت الآثار مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه
الصلوة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة من بعض السلف
يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند به نظر ولو صحت
لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم في
صحيح الآثار ويرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب
ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره مستكره
من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين
والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون
ذاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب

اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ونهاني عن
الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوته بها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون
ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من الارض اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر مثله
ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن عليكم
بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه و
قربه نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم
بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيه الله وفي رواية
فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد
قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل لنفسك
تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من ابواب ولم يذكر وفي
رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد

ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي
امتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من
ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد و
ذكر ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى من مثقال حبة من خردل
فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع
تشفع واسأل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال
ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله وفي رواية قتادة عنه قال فلا ادري
في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن
او وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد و
حذيفة رضي الله عنهم مثله قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم
فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في
رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جواز
الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز بوسطه وعن ابن عباس
رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام يوضع للانبياء منابر يجلسون
عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله
تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى
بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى
اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد
يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد ولد آدم الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي
لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة

الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فاخر
ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر
فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته صلى الله عليه
وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس
للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف
ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة و
حذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته
الى الجنة كما تقدم فى حديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل
النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فى من قال لا اله الا
الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبى دعوة يدعو بها واختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبى منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم
منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت
لهم اجابة دعوة فيما شاؤ يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال
محمد بن زياد وابو صالح عن ابى هريرة فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا
بها فى امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتى شفاعة لامتى وفى
رواية ابى صالح لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ونحوه وفى
رواية ابى زرعة عن ابى هريرة رضى الله عنه وعن انس مثل رواية ابن
زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته
اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم
هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة

والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وعلى اله وسلم
تسليما فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر و
الفضيلة حدثنا ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى والفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد بقراءتى عليهما قالا حدثنا ابو على الغسانى ثنا النمرى نا ابن عبد المؤمن
نا ابو بكر التمار ثنا ابو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة و
سعيد ابن ابى ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد
الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة
لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لى
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفى حديث اخر عن ابى هريرة الوسيلة
اعلى درجة فى الجنة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم بينا انا اسير فى الجنة اذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده
الى طينه فاستخرج مسكا وعن عايشة رضى الله عنها وعبد الله بن عمرو مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفى رواية عنه فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال
الكوثر الخير الذى اعطاه الله اياه قال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة
من الخير الذى اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلوة والسلام
عن ربه واعطانى الكوثر نهر من الجنة يسيل فى حوضى وعن ابن عباس
فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ
ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من
الازواج والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء
فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كقوله

فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي ثنا الفارسي نا الجلودي نا
ابن سفيان نا مسلم بن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت
ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا
خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني
رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي
الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان
احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه من
قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل
فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان
قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو انما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه
الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث الا يفضل
بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص احد منهم لا سيما في جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم
منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله عنه
اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن
لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة

والرسالة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها على حد واحد
اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما
التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم
من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر
وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال عز وجل تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر
واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله
في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة
او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ
منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام
من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه
على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه
اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان
تلك الاقدار لم تحطه عن رتبتها مثقال حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم
الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه
شبهة المعترض فصل في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته
ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال ابو عمر الحافظ نا سعيد بن
نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن
محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا
وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناءه عظيم
شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأكثر الناس حمدا
فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له
كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح
عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره
وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم
في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو
أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي
أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك
وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع
قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يبعث اسمه
محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون
أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح
الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع
لهم ويقال أول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن
اليحمد من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها
أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما قوله صلى الله عليه وسلم
وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر

الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه
يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال
تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به
سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر على قدمي أي على زماني و
عهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا
لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعدي
نبي وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي أي قدامي وحولي أي
يجتمعون إلي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه
وسلم خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم
من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي
عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض التفاسير
طه أنه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي وعن الواسطي
وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث
الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا
المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى
صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد
وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه الصلاة والسلام لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم
هي ست محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح وفي حديث أبي
موسى الأشعري أنه كان عليه الصلاة والسلام يسمي لنا نفسه أسماء
فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى

الرحمة والمرحمة والراحة وكلٌّ صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفّى معنى
العاقب وقيل المتّبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه
يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين
رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقد قال
تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم
بعضا فبعثه ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم و
مترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة
وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه
عليه الصلوة والسلام قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع
قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه الصلوة
والسلام معلوم وجاءت من القابه عليه الصلوة والسلام وسماته
في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم
النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى في
منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق
الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين

المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب
الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة
والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه
وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة
ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب
الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء
خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التورية
احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف
وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى
الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها
في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض
اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة
ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه صلى الله
عليه وسلم والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفي ما ذكرناه منها مقنع
ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروى عن انس
رضي الله عنه انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل عليه السلام فقال
له السلام عليك يا ابا ابراهيم صلى الله عليه وسلم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى صلى الله عليه وسلم

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وفقه
الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك

مضمونها واستخراجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى
استنباطه ولو انار الفكر لاستخراج جواهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم
ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه
كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا
بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلوات الله عليهم وفضل
محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار
الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى
كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان
ويفتح غلقه فمن اسمائه سبحانه الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من
حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان رضي الله عنه بقوله وشق
له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى
الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك
فقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق
المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى
البين امره والوهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين
لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل

انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل
اليهم ومن اسمائه تعالى جل جلاله النور ومعناه ذو النور اى خالقه او
منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لو
ضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء
ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم
القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون
الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في
اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل جبريل وقال صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في
النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر
من التوراة عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو
صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي
صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي
صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه
او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القران جبرية
التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه سبحانه

الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي ابو بكر بن العلاء المأمور با
السؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول
الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تبارك
وتعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة
والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون
ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء
الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة
وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي
صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر
للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم
كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
ومن اسمائه عز وجل في الحديث المذكور ومعناه المثيب على العمل القليل
وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه
كان عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجتهدا
في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى
العليم والعالم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه
وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله

فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه جل جلاله الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال
صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر
بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم
محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقوله
انا اول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
وآخر الرسل صلوات الله عليهم ومن اسمائه عز وجل القوي ذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد ايضا في الحديث اسمه عليه الصلاة والسلام
بالصادق والمصدوق ومن اسمائه سبحانه وتعالى والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم
انا ولي كل مومن وقال تعالى النبي اولى بالمومنين وقال صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تبارك وتعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله
عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
ومن اسمائه جل جلاله الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراده من
عباده وبمعنى الدلالة والدعاء وقال تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا

الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا
تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على
غيره تعالى ومن اسمائه عز وجل المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد ومعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق
والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن
عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن
بمعنى المؤمن مفيعل منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء
امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا
في قوله تعالى ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل
المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم انا
امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه سبحانه القدوس ومعناه
المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه
المطهر وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه صلى الله عليه وسلم
المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم
ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله عز وجل نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
وسماه تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن

ومن اسمائه عز وجل في ما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم
ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم فصل قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم و
ازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من
مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل
جلاله في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا
من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم تعالى بخلاف صفات
المخلوقات فكما ان ذاته عز وجل لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء
ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات
غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر
الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات
المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو
لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا
بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال
اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو
محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود
انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل

وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما
احسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم
ان قدرة الله سبحانه في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة
كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا
كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس
كمثله شيء والثاني تفسير لقوله عز وجل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون ثبتنا الله واياكم على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا
طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته وفضله
لا رب غيره الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه
لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى
نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها
ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ
الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل
على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره
مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره
وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم

النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي
قال محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي
ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا
نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا
مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع
بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال
بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا
ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم
فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم
يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر
الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه
الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك
له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه

نار فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل
على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة
لكان منظره ينبئك بالخبر وقد ان ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله
جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكي عن
سنته في بعض الانبياء صلوات الله عليهم وذكر بعض اهل التفسير في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وجائز ان يوصل
اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما
من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل
على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة
مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله صدق عبدي
فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه
خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا
رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النباء وهو الخبر وقد لا
يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله
به ومنبا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون من لم يهمزه من
النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل
ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه في اللغة من التتابع ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة
اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى وبمعنيين فقيل هما

سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قالوا
ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من
وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص
النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة
التي للرسل وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها
التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام
البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد
وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به
نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم
الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل
منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر اولهم ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في
تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما
كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهام
وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي
الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي سرعة وقيل
اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك قوله تعالى
عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يلقيه في قلبه دون
واسطة فصل اعلم ان معنى تسمية ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق

عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا
عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة
من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن
ان يفعله الا الله عز وجل فيكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم
من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات
التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه
وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره
وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه
اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري
هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما
خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى
وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى
الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة

وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب
العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا
بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة
بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا
يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا
انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم
ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وغزوة
بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين
ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما
حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم
كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشياء رواها من السنن والسير وحروف القران وخطأ بعضهم
بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من

معجزاته صلى الله عليه وسلم لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل
لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من
انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة و
الاراجيف الطارئة واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من
طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد
في اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك
اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة با
الضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها
وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع
الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه
الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها
مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلاة
للمنفرد والامام واجزاء النية كل ليلة من رمضان عما سواه وان
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس
وان مذهبهما القصاص بالمحدد في القتل وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط
الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا احاد
هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القران اعلم وفقنا
الله ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها

وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه و
والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب
وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت
انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا
وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به
الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
اوصافهم اجمل من سمط اللالي فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب
ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو
اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع
القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير
والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل

مع اعجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افصح ما كانوا
في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا
واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم لحظ
عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما
على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله تع ولن تفعلوا وقل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل و
وضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى
الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب
كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى
الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون
انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى
ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه
من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل المييز منهم انه ليس من نمط
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي

صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو
بقائم على راسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرا اية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم
من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعا ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه الاية **وحكي** الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله عز وجل واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين
وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف
الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي
صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين
من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا
تاملت **قوله تع** ولكم في القصاص حياة وقوله تعا عز وجل ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعا ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله سبحانه
ويا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تع فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر

القران حققت ما فيه من اعجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا
كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما
استفيد منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
عليه الصلوة والسلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات
عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترددها
ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب
والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها و
نثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء
منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى
مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع
كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القران رق
فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني
والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع
قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه
رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن
ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه
ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا

فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل
وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه
والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فانزل في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي
الله عنه ووصفه اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس
لقد ناقض اثنا عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة
وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال
يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم
ولقد وضعته على اقراء الشعراء فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر
وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز
بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب
بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان
بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم
الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى ذلك بقول تمجه الاسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه
عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه بما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه
وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في
مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها
كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن

الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ فى التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجىء بشر مثلهم بشىء
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما
اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم
الا من جهد جهده واستنفد ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره
فما اتوا فى ذلك بخبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث**
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخره
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس
فى الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها
موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين فى الارض ومكن فيها دينهم
وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم
زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى
منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد

لا يكاد يعدم من سعى فى تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما
القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام
فما قدروا على اطفاء شىء من نوره وتغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
فى حرف منه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذى ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله سبحانه لن يضروكم الا اذى وان
يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون فى انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله عز وجل يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك
الاية وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله تعالى فى الدين وقد قال مبديا
ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى
انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه
بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة
من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه
الرابع** ما انباه من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة
مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذى
قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتى
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم
وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب
كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما
يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر

ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه
ذلك من الانبياء والقصص وبدء الخلق وما فى التورية والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير
ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم
بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم
له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم
ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم
مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى
ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل وغير ذلك من امورهم التى
نزل بها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذب به بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده
وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابنى اخطب وغيرهم ومن
باهت فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما
حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله تع الظالمون فقرع ووبخ ودعى
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على
فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله
من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير الايتين **فصل هذه الوجوه الاربعة** من اعجازه بينة
لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه

الوجوه اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلمهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحاق الزجاج فى هذه الاية
اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى صلى الله عليه
وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى يموت
مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة
ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد
الاصيلى من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم
امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن قوم نبيا قط
فبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلوا
كما كان وهذه الاية ادخل فى باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها
من التعجيز ما فى التى قبلها **فصل** ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وانافة خطره وهى على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه
ويزيدهم نفورا كما قال الله تع واذا ذكرت ربك فى القران وحده
ولوا على ادبارهم نفورا ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا

وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال عز وجل لو انزلنا
هذا القران على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي
فقيل له مم بكيت قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن بها ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن
جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور
فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله تعالى
المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا
عليه حم فصلت الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا
يدري بما يرد جوابه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما
اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة و
هيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه
فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع فمحا ما
قد عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح
اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمانه فحكي انه
رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه
على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة ومن وجوه
اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى
بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين

من بين يديه ولا من خلفه الاية وسائر معجزات الانبياء عليهم الصلوة و
السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة
اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين
سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار
كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام
وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من
اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر
فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص
على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه
وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على
تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره
من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي
عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء
ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن
حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من
علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع
والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية
وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون

بعد ان ينصبوا ادلة سلطها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي
انشأها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما احواه من
علوم السير وانباء الامم والمواعظة والحكم واخبار الدار الاخرة
ومحاسن الاداب والشيم قال الله تعالى جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد صرفنا للناس في هذا
القران من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل القران
آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان
قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به
هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن
حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن
اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا
يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه
لا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين وفي حديث قال الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه
وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه
مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران
وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه

امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف
معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم
الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل
والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على
متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا
يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقران ميسر
حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا
وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد و
اثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائد دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته و
لانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر
من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملئهم
على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم
ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات
القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة
ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا
منفردا في اعجازه الا في تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما ذكرنا
عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه

الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه
التي لا تنقضي وبالله سبحانه التوفيق وهو المستعان وهو الموفق
للصواب **فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس** قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر
الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته و
اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة
وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى
رايت الجبل بين فرقتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان
سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسالوا من ياتيكم
من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه قال فقال ابو جهل هذا
سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر
اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه
ايضا عن ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضوان الله عليهم فقال
علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم
ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما رواه
عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر

مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه
عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى
اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء
ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك
الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم
على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع
اهل الارض فقد يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما
هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب
او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها
جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك
تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل
الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف
من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون
الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا
ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر
حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي
قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض

وذلك بالقصها في خيبر هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحاق لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه القاضي ابو عيسى بن سهل ابو القاسم حاتم بن محمد ابو عمر بن الفخار ابو عيسى عبيد الله يحيى مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء الوضوء فلم يجدوه فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه

وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي اتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين مثله ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه

فما كنت بقي جهدهم لهم فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه
وسلم تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطا
عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض
بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها
فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء
ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان
ترى ما هاهنا قد ملي جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في غزوة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما
فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين
الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن وعن قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا
كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة
على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا
لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء غدا وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب
مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبا وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه
واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث
فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه
ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس
فملئوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملئوه قال عمران ويخيل الي انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملئوا ثوبها وقال
اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله
وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة
اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع
يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملئوا ما معهم من انية
ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى
الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء
فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال
اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه
فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير
عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر
وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم
ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده

اى ابطه فامر بها فغطت وقال فيها ماشاء الله ان يقول وحديث جابر
فى اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا
وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر
سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار
وامراه ولم يسمهما قال وجىء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله فاكل من فى البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقى بعد ما شبعوا مثل ما كان فى الاناء وحديث ابى
ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر من
الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين
من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة بن جندب اتى النبى صلى الله عليه وسلم بقصعة
فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى بكر كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر فى الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا
وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا
اجمعون وفضل فى القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابى عمرة الانصارى ومثله لسلمة بن الاكوع وابى
هريرة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكروا مخمصة اصابت الناس
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد

الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذى اتى
بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤه وبقى منه قدر ما جمع وعن ابى هريرة
امرنى النبى صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت
الا ان فيها اثر الاصابع وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كانه لم يشرب وقال انس ان النبى
صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من
لقيته حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفى رواية
اخرى فى هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى
شبعوا وقال لى ارفع فلا ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت وفى حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن على رضى الله عنه ان فاطمة
عليها السلام طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبى صلى الله عليه
وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله
عليه وسلم ولعلى ولها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قال فاكلنا منها
ماشاء الله وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة
راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هى الا اصوع فقال اذهب فذهب
فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله من رواية
دكين الاحمسى ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث
جابر فى دين ابيه بعد موته وكان قد بذل لغرمائه اصل ماله فلم يقبلوه

ولم يكن في تمرها سنتين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ان امر بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منها
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية
مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة
اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء
قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده صلى الله
عليه وسلم فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
فقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت
على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهبت مني فذهب وفي
رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فا
ستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان
اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه
وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال
يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فا
خذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح
الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه
الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله

لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاخرى
في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة عليها السلام ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لو
ليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال
كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن
لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثماية
حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
فيه ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
احين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذا الفصل
بضعة عشر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم رضي الله عنهم واكثرها في قصص
مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت
الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها
دعوته صلى الله عليه وسلم احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن
عمران الاخنسي قال حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير
قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال ومن يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فقال فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت

تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم
رجعت الى مكانها وعن ابي بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قالت
الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي
مرها فلترجع الى منبتها فرجعت ودلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت
فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك
فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل قال ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى
اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة
منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه
هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى
عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من
نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه و

عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي
بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن
سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين
الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان
بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء
راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت
به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت
ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه
وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا
الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى
بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم رضوان الله عليهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز
بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن
ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن

رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني
اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه
وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى
الله عليه وسلم اراه ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى
وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه
وسلم شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله اية يعلم بها ان لا مخافة
عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها
ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي و
نحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر
نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا
عرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول
الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضوان الله
عليهم بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد
الخدري وبريدة وام سلمة ومطلب ابن ابي وداعة رضوان الله
عليهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد
لخواره وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذا بكاء لما فقد من الذكر وزاد غيره فقال

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى القيامة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي
بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي
حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اليه فلما هدم
المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر
الاسفرائني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض
فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى
الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك
عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك
في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص
بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك
الحسن وثابت واسحاق بن طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية
ورواه ابو نضرة وابو الورد عن ابي سعيد وعمار عن ابن عباس وابو
حازم وعباس بن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن دون

هذه العدة بقطع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل
ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ابو القاسم ابو الحسن
القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو
احمد الزبيري قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من
حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو
ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها
قال لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن
جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح
وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال
فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال

عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا
قال نسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش قال له ثبير
اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله
فقال له حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا
الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح جعل
يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ في امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الا اليهم فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال
له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا
ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء اليه صلوات الله عليه وسلامه فصل في الايات في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسن الحافظ ثنا ابي القاضي
يونس قال حدثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
ابيه وجده قال حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل
قال حدثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب

وروى عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله
قال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي
البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد
الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب قال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك
باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث
الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة
رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت
اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه
عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون
قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه
ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفورها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان
صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع

الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي
سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان
بن امية مع ذئب وجداه يطلب ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم
الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل و
اصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده
الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض
حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم
قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا للانصار وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي
الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها
وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى
بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض
وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن
اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه
فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم
انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد

ان استعملوه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انت لمحمد صلى الله عليه
وسلم وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره
الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا في
فم الغار وفي حديث آخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن
قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست
او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة رضي الله
عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله
فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول
الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا
الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في
منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة انكسرت به فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم

وسلم باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى
في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه
وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم
زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما اراك تملكها فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي
ذهب بها وقال لفرسه صلى الله عليه وسلم وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك
عضوا حتى صلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ويلتحق بهذا ما رواه
الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة
نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه
اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور ومن ذلك
ما وقع في كتب الائمة رحمة الله عليهم اجمعين فصل في احياء الموتى وكلامهم
وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة حدثنا
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد
سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي قال
حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد الطحان عن محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر
شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم وقال

ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعته وان كنت ملكا
ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه
قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها
قال لا وكذلك روى عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض
لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم
يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة
بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن
اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال
فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات
فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان اوان قطعت ابهري وحكى
ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد
ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك ابي هريرة وانس وجابر وفي
رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك
قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا
وقد روي انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله
الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم
الله فلم تضر احدا منا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث
الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
عن الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها
ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ

الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا
الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا
ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لا نجعل الحياة شرطا لوجود
الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها
فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها
اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله جل جلاله خلق
فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا لو
كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم
ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب
لم يتكلم قط فقال من انا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن معرض بن
معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر
مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب وكان يسمى مبارك اليمامة
وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه
الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي
تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان
اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن
انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها

فقالت مات ابني قطا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك
والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة
فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن
عبد الله بن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر
ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاءين
والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال
محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول
ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان الله
القدير لا اله الا هو فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا
ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ابو اسحق
الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد عن البرقي
عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق حدثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال
وقالوا فقال سعد بن وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه
يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد
عياض عن ابن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة
وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما
ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال

يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري فانطلق فتوضأ
ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبيي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى
ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا
هلكة فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة
وهو ابن ثمانين وروى كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن
انيس فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر فكان رمدا
فاصبح بارئا ونفث عليه السلام على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى
الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم يوم
الخندق اذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن
ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او
عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته
ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به
بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها

بسقيه وسنه به نبذ العلوم وعقل عقلو بفضل عقول الناس وعن
ابن عباس رضى الله عنه جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وانكفأت القدر على
ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ
لحينه وكانت فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناول
لها ما فى فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسئل شيئا فيمنعه فلما
استقر فى جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد
حياء منها فصل فى اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا واجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا
لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء فى حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابى بقراءتى عليه
حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى
حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابى الاسود حدثنا حرمى حدثنا
شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امى يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته
ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى
وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة وفى رواية وما اعلم
احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدى هاتين
مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولدى ومنه دعاؤه
صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه

عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدى
واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل
بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين الفا
واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شىء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعا لمعاوية رضى الله عنه بالتمكين فى البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن ابى وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد
الا استجيب له ودعا صلوات الله عليه وسلامه بعز الاسلام بعمر
او بابى جهل فاستجيب له فى عمر وقال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ
اسلم عمر رضى الله عنه واصاب الناس فى بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال لابى قتادة افلح وجهك اللهم بارك له
فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن نبتت له اخرى
وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم
فقهه فى الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الحبر وترجمان القرآن
ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئا
الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال
ودعا بمثله لعروة بن ابى الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة
فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخارى فى حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروى مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له
صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه
ودعا لام ابى هريرة فاسلمت ودعا لعلى ان يكفى الحر والقر فكان

يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته رضوان الله عليها ان لا يجيعها الله قال
فما جاعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول
الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا
على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية و
لا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه
الصلوة والسلام ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل
بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى
فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا
على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن العاص وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا قراه فقال كذلك كن فلم
يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته
الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه
بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي
شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك
له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من
ان يحاط به فصل في كرامته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه
او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر
الهروي اجازة حدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله

ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد
القاضي ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم حدثنا الفربري
حدثنا البخاري عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا
سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به
قطاف وقال غيره يبطؤ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان
بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها
باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده
هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن
الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء
بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا ابو علي
عن شيخه ابي القاسم المأمون قال كانت عندنا قصعة من قطع
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم وكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون
بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان كان القضيب
عليه السلام ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها
الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه وسلم
من فضل وضوئه في بئر قبا فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في
دار انس فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واوتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك و
اعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه

وسلم سمنا فامرها صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها فيسألونها الادم وليس عندهم
شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان
يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب
فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره
فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا
الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت
من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها
على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما
اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت
واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا
ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى
يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنه دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل
عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد و
قد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته

بركته صلى الله عليه وسلم درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة
المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه
فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من
رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو
ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذا القصص عن غير واحد منهم السائب
بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره و
سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأسه قيس بن زيد الجذامي و
دعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى
الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر
فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه
بريق حتى كان ينظر في وجهه ينظر في المرآة في وجهه كما ينظر في المرآة
ووضع يده على رأس حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في
وجه امرأة من الجمال ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره
وروي مثله في خبر المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبرأوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من
عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه
وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والجنون ومج
عليه السلام في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك ولقد

قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره
ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما
يروى عنه في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن عبد الله ودعا له
وكان ذكر انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من
الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره
ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على
الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة
وقراته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر
الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة
حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه
ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما
يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال
حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه
ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال
ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق

والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف
الا الله وفتح خيبر على يدي علي وانه يفتح في غد يومه وما يفتح الله
على امته من الدنيا ويؤتون من زهرة الدنيا زهرتها وقسمتهم كنوز
كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء و
سلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة و
يروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله
باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى
آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب
وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امته ما زوي له منها فلذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراء
ذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل
ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون
بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب كذا
في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم
كذلك قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واين هم قال ببيت المقدس
واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله

دولة وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما
ملكوا وخروج المهدي وماينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه
اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه
النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن تنسب اليه
من الروافض كفره وقال بقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على
قول الله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا و
بمحاربة الزبير لعلي ولنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه
يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند
خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب
معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من
الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل
نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة
اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم
موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة
الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملائكة تغسله فسألوها فقالت
انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا
راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر فيهم
ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج
والمختار وبان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به
وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون ثم يكون ملكا فكانت
كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا
عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان

اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في
امته ثلاثون كذابا كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان
يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا يقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم
الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان
الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من
قريش قال ابو هريرة رواية لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها و
قلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى
لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر صلى الله عليه
وسلم بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم
التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والحفاة العراة يتبارون
في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه
ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت
المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجل من ابناء
فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
الى المدينة وجد ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم
في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا
من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته
صلى الله عليه وسلم حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب
حاطب الى مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه

رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والتراسلم واخبر بالمال
الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابى بن خلف وفى عتبة
بن ابى لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال فى الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين و
لسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون
واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل مؤته يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز
وان ورد عليه رسولا عليه من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم
فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر اباذر بتطريده كما كان ووجده
فى المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد
الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده
واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها
بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها
مضجعه وقال فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت
يده فى الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم فى الذين كانوا معه على حراء
اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى
كسرى فلما اتى بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل و
الصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعنى بغداد وقال صلى الله
عليه وسلم سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه
الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
دعواهما واحدة وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك
يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه

الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد
حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور
كلها فى حياته وبعد موته كما قال صلوات الله وسلامه عليه الى ما
اخبره جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء
واعلامه بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه فى
مشط ومشاطة فى جف طلع نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان
فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة واعلامه
قريشا باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى
هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت كل اسم لله فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين
كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم
بعيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان
كله كما قال صلوات الله عليه وسلامه الى ما اخبر به من الحوادث
التى تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله
عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج
الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط الساعة و
آيات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة
والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الا
حاديث التى ذكرناها كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الائمة
والله المستعان فصل فى عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته
من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال عز
وجل واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده

قيل بكاف محمدا اعداه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين
وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي قراة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا حدثنا ابو الحسن الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ
حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحارث بن
عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي
عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل منزلا اختار له
اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من
يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب
براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له
يوم بدر وقد انفرد صلى الله عليه وسلم من اصحابه لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها
في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم

ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم
على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من
وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة و
جع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت
هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال
كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما
بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها
من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا
ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم ابن ابي العاص تواعدنا على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه
بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته
ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله
فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى قوله فهل ترى لهم من
باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان
من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته

فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته على رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت التي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته صلوات الله عليه وسلم مع سراقة ابن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض له دونه فحل ما رأيت

ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي ابن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان رجلا يعرف شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه

ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار
اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا
وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه
وعن فضالة بن عبيد اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام
الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت به منه قال افضالة قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا
احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن
قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا
اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في
ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افا
ضربك ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به
وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله
فعصمه الله حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة
شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة صلوات
الله عليه وسلامه ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته
وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن ادم الى زمانه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل
امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم

واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك
وغيره الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة
بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم
ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل
كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه
واستحسنه دون طلب اقامة برهان ثم ما احل لهم من الطيبات
وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا مما لا يعلم
ولا يقوم به الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة
واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي
على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان
لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي
عن ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء

من بطن الى قوله فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وقوله وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب
على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير
رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر
فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله و
هو بموضع نعم موضع الحمام هذا ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على
اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب و
لكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن
شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم الق الدواة
وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله
عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة
واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير
من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
د دده ددم اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض
هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على
الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ

ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم
ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف قبل بشيء منها قال الله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا
سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم
بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان
او العبد الرومي وكان سلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير
من القرآن وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان اسلم
وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عند المروة وكلاهما اعجمي
اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة
ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه و
نظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او
يعيش او جبرا و فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء
صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك
وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم
منه ما يحتج به على شغبه كفعل النفس هذا الحادث من اخبار كتبه
والاغاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في

سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعلم القليل فكيف
الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم
ولا اختلف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس
او منجم او كاهن بل كان هذا بعد هل لكان مجي ما اتى به من معجز القران
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن
وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية وقال اذ
يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الاية وقال واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن يستمعون القران الاية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه
حدثنا ابو الليث السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ
ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله
رضي الله عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محاورته مع جبريل واسرافيل
وغيرهما من الملائكة ومشاهدته من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة
الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة
ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبرائيل صلى الله عليهما وسلم
في صورة دحية رضي الله عنه ورأى سعد رضي الله عنه على يمينه
ويساره جبرائيل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض
ورأى اصحابه جبريل في صورة رجل سأله عن الاسلام والايمان
ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما جبريل في صورة دحية
ورأى سعد عن يمينه ويساره جبرائيل وميكائيل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة

الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا
يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران
بن الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير
لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه
ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال
بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت
قال انا هامة ابن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده
في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر
الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك
العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع
علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله
خاسئا وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته وعلاماته ورسالته
صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته و
ذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وقس بن ساعدة و
كعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وما ذكر عن سيف بن ذي يزن

وغيرهم وما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفى من ذلك فى التورية
والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقاة من اسلم منهم مثل ابن
سلام وبنى سعية وابن يامين ومخيريق وامثالهم ممن اسلم من علماء يهود
وبحيراء ونسطور وصاحب بصرى ونصارى الحبشة وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشى واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما
النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن
صوريا وابن اخطب واخوه وكعب ابن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء و
الاخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه فى كتبهم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك
وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره
ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب
وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن
جذل الكندى وابن خلصة الدوسى وسعد بن بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب
واجواف الصور وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم و
الشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم

القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور
فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امه
ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما رأته من النور الذى خرج معه عند ولادته
وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاص من تدلى النجوم وظهور
النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن
بن عوف لما سقط عليه السلام على يدى واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله واضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور
الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من
العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته و
غيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد
وانه كان عليه السلام اذا اكل مع عمه ابى طالب واله وهو صغير
شبعوا ورووا واذا غاب صلى الله عليه وسلم فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد ابى طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه
وسلم صقيلا دهينا كحيلا وقالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله
عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة
السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع
وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما
خصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء
الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى
فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال
انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى
رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت
ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى

ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة
فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روى ان حليمة
رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة
ومن ذلك انه نزل صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره قبل مبعثه
تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي واشرقت و
تدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر
الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان صلى الله عليه وسلم لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لانه كان نورا صلى الله عليه وسلم وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تحبيب
الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره
في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض
الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من
كراماته وتشريفه وصلوة الملائكة على جسده على ما رويناه في
بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله و
نداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روى
من تعزية الخضر عليه السلام والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر
على اصحابه صلى الله عليه وسلم من كراماته وبركته في حياته كاستسقاء
عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته صلى الله عليه وسلم واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية و
تركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين
الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح و
اشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلوات الله عليه وسلامه

وسلم مثلها او ما يبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء صلوات الله عليه
وسلامه عليهم تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا
القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض الائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل
آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه
معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من
نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو
من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم كلمات انا اعطينا
ك الكوثر على ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد معجز في نفسه ثم
اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه
اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة
من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز
فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا
الى جملة يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان معجزات الرسل عليهم الصلوة والسلام كانت بقدر همم اهل زمانهم
وبحسب الذي سما فيه قرنه فلما كان زمان موسى عليه السلام غاية علم
اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن
عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر

لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبيا عليهم
السلام ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله عليه القران
الخارق لهذه الاربعة الفصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه
ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه و
ان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار
عن القرون السالفة وانباء الانبيا والامم البائدة والحوادث الماضية
ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها و
بينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة
لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن
الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين و
النفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل
عنده حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع
واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبيا
نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته
وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى
الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله تعالى وغير
واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام
المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقا السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام
الله ليس للحيلة ولا السحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم
اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او
خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما
في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء
والسبا والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع و
التوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله و
النكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم
والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال هذا ابلغ في خرق
العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد
يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة

في ذلك الفن وفضل علم الى ان برز ذلك صحيح النظر وسار التحدي للخلق
مبين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق
بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة
ما لو قال نبي آيتي منع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر
آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه
ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة
افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها فانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني
اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في
العجل بعد ايمانهم وعبد المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله ووحده
من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب
الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا
به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم
واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا
بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قد
قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها ان شاء الله تعالى وبه استعين

القسم الثاني الباب فيما يجب على الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في اربعة ابواب على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه
والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

صلوات الله عليه وسلم اذا تقرر بما قدمناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به
قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم الايمان الا به ولا يصح الاسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني
الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا
امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد
الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها و
حسابهم على الله قال الفقيه ابو الفضل رحمه الله تعالى والايمان به صلى
الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في
جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان
بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه
السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم

ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام
ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد تقرر ان الايمان به يحتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و
الله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم
ان يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم
يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك
الاسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم
على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل لبشر سبيل الى السرائر
ولا امر بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل
فى حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان و
بقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام
الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة
لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة
من ايمان فلم يذكر سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص

بتركها غير مخلد فى النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة
انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضى الى متسع من الكلام فى
الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزى
ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من
عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين و
تصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط
هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدناه ان شاء الله

فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به
وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال
ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته
بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
فى التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا
فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول فى سنته
يطع الله فى فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندى
يقال اطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته وقيل اطيعوا الله فيما
حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبى بالشهادة له بالنبوة ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه قال حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن على بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد

حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله نا
يونس عن الزهري حدثنا اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن
عصا اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر
بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى
عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في وجوههم في
النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا
ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابو هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى
قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان
فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما
جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة
والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن
عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس
فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه فقد
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم قال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته

واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم
اذا انقادوا وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال محمد بن علي الترمذي الاسوة في
الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه
وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه
على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول
الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال
الزجاج معناه ان كنتم تحبون ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به
اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم
عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري
في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وارادة الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا
كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في
ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى قال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل حدثنا ابو الحسن

يونس بن مغيث الفقيه بقرائتي عليه قال اخبرنا حاتم بن محمد قال حدثنا
ابو حفص الجهني ابو بكر الاجري حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي
حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
بن سارية وفي حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وزاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع
عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا
وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا
ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فحمد الله تعالى ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا
والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه الاية وقال من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان
احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او
فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابي الحسن قال صلى الله تعالى عليه وسلم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله

ان الله عز وجل يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر
مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين فرقة
وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن
هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه
السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة
من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان
ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا
فصل وانا ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء
بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي
تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد بن
نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد
بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة
الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن
اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما
رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها
منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن ابن ابي الحسن عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم

قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرائض
واللحن اى اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقران فخذوهم بالسنن
فاصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفى خبره حين صلى بذى الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن على رضى الله عنه
حين قرن فقال له عثمان ترى انى انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه
الا انى لست بنبى ولا يوحى الى ولكنى اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد فى السنة
خير من الاجتهاد فى البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف
السنة كفر وقال ابى بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه ففاضت عيناه من خشية الله تعالى
فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهى كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل وسنة خير
من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض
عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله
وعن عطاء فى قوله تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول
الى كتاب الله والى سنة رسوله وقال الشافعى ليس فى سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر رضى الله عنه وقد نظر الى
الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئى عبد الله بن عمر يدير ناقته

ناقته فى مكان فسئل عنه فقال لا ادرى الا انى رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيرى من امر السنة على
نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التسترى اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية
فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع
جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله و
اليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا
يقول لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل
سنته ضلال وبدعة متوعد من الله بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الاية قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن
بن عتاب بقراءتى عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسى حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا
احمد بن ابى سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا
مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث فى صفة
امته وفيه فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا وروى انس
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتى فليس منى وقال
من ادخل فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابى رافع عن
ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته

يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله
مثل ما حرم الله فقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزل
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام
هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام
اذ قرع الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية
واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله
القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا
ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده و
الناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه عن انس عنه عليه السلام
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في
الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب

احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب
الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر
وقال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه صلى الله عليه وسلم في جميع
الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو
الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان نا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم
بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى
الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة
ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ بيد الحسن والحسين فقال من احبني واحب هذين و
اباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين فان
دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل

عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال
بابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الاية وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال ومن
احبني كان معي في الجنة فصل فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم اليه حدثنا القاضي الشهيد حدثنا
العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي
لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو
يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال
شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروى عن ابي بكر
رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق
لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة
وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امرأة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا خيرا وهو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما
رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه

عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار * صلى عليه الطيبون الاخيار
* قد كنت قواما بكاء بالاسحار * يا ليت شعري والمنايا اطوار * هل تجمعني
وحبيبي الدار * تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية
طول وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس
اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر بلال نادت
امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان
امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته
لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه
قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان
عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب
ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في
اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما
خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد
قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله
فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا آثره
وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب
النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء
به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى ان كنتم تحبون فاتبعوني يحبكم وايثار ما شرعه وحض عليه

على هوى نفسه وموافقته شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط
العباد فى رضى الله عنه حدثنا القاضى ابو على الحافظ حدثنا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى ثنا
ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم
حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد عن سعيد
بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال لى يا بنى وذلك من سنتى ومن احيا سنتى فقد احبنى ومن احبنى
كان معى فى الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج
عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذى حده فى الخمر
فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا
تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبى صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفى حديث الاشعريين عند
قدومهم الى المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبى
كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من
يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا و
منها محبته لمن احب النبى صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من

آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد
قال صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين اللهم انى احبهما فاحبهما
وفى رواية فى الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبنى
ومن احبنى فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضنى فقد ابغض
الله وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا
فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال فى فاطمة رضى الله عنها انها بضعة منى يغضبنى ما اغضبها وقال
لعائشة رضى الله عنها فى اسامة بن زيد احبيه فانى احبه وقال آية
الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفى حديث ابن عمر رضى
الله عنه من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شىء يحبه وهذه سيرة السلف
حتى فى المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبى
صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى القصعة فما زلت احب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر
اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة
اذ راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
فى دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله
عليه وسلم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم فى مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابى لو شئت لاتيتك براسه يعنى
اباه ومنها ان يحب القرآن الذى اتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به

واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن ومن حب القرآن
تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن
حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال
ابن مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو
يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان صلى الله
عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي
سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي
او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله
اني احبك قال انظر ماذا تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال
ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر مثل حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس
في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع في الحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانه
التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم
محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال
بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما يكره وقال آخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارات الى ثمرات المحبة دون حقيقتها
وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه
بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين و
العلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان
طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان و
هتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة
احسانه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها
فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما
جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها
قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى من رأفته بهم ورحمته
لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين
رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ويتلو آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم فأي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه
الى جميع المؤمنين وأي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على
المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى
الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه
عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار
وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال

فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه خرقة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التأذى بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم
ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع
ملك حسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاض بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كرم شيمه فمن جمع هذه الخصال غاية مراتب الكمال احق
بالحب واولى بالميل وقد قال على رضى الله عنه فى صفته عليه السلام
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبته فيه صلى الله عليه وسلم فصل فى
وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من
سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا
كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقرائتى
عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف عبد الله حدثنا ابن عبد
المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا
زهير حدثنا سهيل بن ابى صالح عن عطاء بن زيد عن تميم الدارى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها فى اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر
بن ابى اسحق الخفاف النصح فعل الشئ الذى به الصلاح والملاءمة ماخوذ
من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج
نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو

باهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة فى محابه والبعد من مساخطه
والاخلاص فى عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه
من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو
سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه
الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى نصيحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والعمل بها وقال احمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو بكر الآجرى وغيره النصح له يقتضى نصحين نصحا فى
حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال
دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون
الله ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها
وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه
وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة احدى
ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم
القشيرى ان عمرو بن الليث احد ملوك خرسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رؤى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل
بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبنى كثرتهم
فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله

ذلك وغيره واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقيل تعززوه بزاي من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه

ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله تعالى في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه بالاستفهام ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا

نزعتك فنهوا عن قولها وبقيتاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بحقه
صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة
ومنع للتشبه بهم في قولهم لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا والله اعلم

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم

حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في آخرين
قالوا حدثنا احمد بن عمر احمد بن الحسين حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابراهيم
بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن
منصور حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن
ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا
طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني
منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني
منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس
فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما
كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة ابن مسعود حين وجهته
قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم
اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون
عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما
له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه

ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد
في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه
وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه لقد رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون
ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله
عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ اطلع طلحة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له
وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخره سنين من هيبته صلى
الله عليه وسلامه

فصل

واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد
موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب
بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا
الصالحين وائمتنا الماضين رضوان الله عليهم اجمعين قال حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغيره واحد فيما اجازونيه قالوا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ابو
الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن

عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن
حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعوا ام
استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فا
ستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه
ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه وقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم
على ما ترون ولقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسئله
عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير
الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القرآن و
لا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء العباد الذين يخشون الله عز وجل و
لقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه
كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله

عليه وسلم بكى حتى ما يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من
اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما
عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال حتى يقوم
الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل
والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي
صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله صلوات الله عليه وسلامه فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدار
قطني حدثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او
ما قرب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال

اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول
لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على
راسه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم
يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره
ان يحدث في الطريق او هو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على
غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على
غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه
ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من
المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم
عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الله الحميد
القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي
احق من ادب وذكران هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو
واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال
هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان
مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان
لا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا
على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم
فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما حث عليه صلوات الله وسلامه عليه وسلكه السلف الصالح
رضوان الله عليهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الآية وقال عز وجل وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد
العدل من كتابه وكتبت من اصله قال حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني
ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل
قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني وكيع عن ابيه عن
سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله في اهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته
قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس وقال صلى الله عليه وسلم
اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي
فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة
من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم
واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه عن عمر بن ابي
سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة
وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي

فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال صلى الله عليه وسلم للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ

فطأطأ ابن عمر راسه ونقر بيده في الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنه ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد في هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا

يقول لان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضا حاجتها فلما توفى وفدت
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره و
بره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتدا
بهم وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم و
معاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في واحد منهم وان يلتمس لهم فيما
نقل من مثل ذلك في ما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم
اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه
امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك
كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة قال و
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله
عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية قال حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الحسين وابو الفضل
حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن المحبوب حدثنا الترمذي
حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الله
بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن
ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة
وسبهم في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم الاية
وقال من غاظه اصحاب رسول الله فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق و
حب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب
ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد
استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن
ينتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح واخاف
ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما
وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها
الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله
غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه
وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة
رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله
عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة

ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه و
عنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة
وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي
لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي
صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك
امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وروى عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة
يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل
بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز
اوامره صلوات الله عليه وسلامه فصل ومن اعظامه واكباره صلوات
الله عليه وسلامه اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من
مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به وروى
عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا
قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد
بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في
بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره
صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروى
ابن عمر رضى الله عنه واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحي من الله ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحافر دابة وروى انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن

الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما
مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب
ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه
قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وحكي ان
جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله
عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان
نلم به ركبا وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع
دونه الاوهام واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرحال حرام قربننا
من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ
انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى باب مولاه راكبا
لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين
ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض

عراصها ومواطن طويت فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى صلى الله
عليه وسلم ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها و
جدرانها يا دار خير المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالآيات عندي
لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت
محاجري من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون شيبي بينها
من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا
على الوجنات لكن ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات وتخصه بزواكي
الصلوات ونوامي التسليم والبركات الباب الرابع في حكم الصلوة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا الاية قال ابن عباس رضي الله عنه معناه
ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي و
ملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة
ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث
صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم
ارحمه فهذا دعاء وقال ابو بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون
النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة
تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة
الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة و
لفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده
فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم
فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى
السلام عليه ثلاثة اوجه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام

السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك
متولٍّ له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث ان السلام
بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم
ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت
لامر الله سبحانه بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب و
اجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب و
ادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به
الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب
مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار
المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه
ان يأتي به مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن
بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم
ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها
ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة
واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها
الذي امر الله به ورسوله هو في الصلوة فحكى الامامان وقالوا واما في
غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو
جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين
من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد
غير واجبة وشذ الشافعي فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من
بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلوته فاسدة فان صلى عليه قبل ذلك

بمجزئة ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه
المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها
منهم الطبرى والقشيرى وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان
لا يصلى احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
ترك ذلك تارك فصلوته مجزئة فى مذهب مالك واهل المدينة وسفيان
الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم
وحكى عن مالك وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
فى التشهد الاخير مسئ وشذ الشافعى فاوجب على تاركها فى الصلوة
الاعادة فاوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى
ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد
الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها
فريضة فى الصلوة كقول الشافعى وحكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب
فيها ثلثة اقوال فى الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف
الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى
وليست بواجبة فى الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا
اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف
الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو الذى علمه
له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم كابى هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى
وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابى سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر

ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا على
المنبر عمر بن الخطاب وفى الحديث لا صلوة لمن لم يصل على قال ابن القصار
معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث كلهم
رواية هذا الحديث وفى حديث ابى جعفر عن ابن مسعود عن النبى
صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه
وقد روى مرفوعا من قول ابن مسعود قال الدارقطنى الصواب انه
من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على
النبى صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم وروايته عن
ابى جعفر جابر الجعفى وهو ضعيف فصل فى المواطن التى يستحب فيها
الصلوة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك فى تشهد
الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء قال حدثنا القاضى
ابو على رحمه الله بقرائتى عليه قال الامام ابو القاسم البلخى قال الفارسى حدثنا
ابى القاسم الخزاعى عن ابى سعيد الهيثم بن كليب عن ابى عيسى الحافظ حدثنا
محمود بن غيلان عبد الله بن يزيد المقرى حيوة بن شريح حدثنى ابو
هانى الخولانى ان عمرو بن مالك الجنبى اخبره انه سمع فضالة بن عبيد
يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلوته فلم يصل على
النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه وقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى
الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله
وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الدعاء والصلوة معلق
بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شئ حتى يصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه
وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبى
صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا
فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم

ثم ليسال فانه اجدر ان يجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملو قدحه يضعه و
يرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضاء والا اهراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء
اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح
فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين
الصلوتين لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا
جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه
عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم يبداء بالصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيقول اللهم اني اسئلك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه
عند ذكره وسماع اسمه او كتابه صلى الله عليه وسلم او عند الاذان وقد قال صلى الله
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي صلى الله عليه وسلم وكره ابن
حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه
عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب
قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله
على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى عن اوس بن اوس عن
النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن
مواطن الصلوة عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي
لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم

ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك و
جعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس رضي الله عنه المراد
بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا
دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره
بحديث فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه
من مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها
من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة
ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به
عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة قال حدثنا
ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره وقالا ثنا
كريمة بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد
بن اسماعيل حدثنا ابو نعيم الاعمش بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات

والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض
هذا مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن
عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك
في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد بما جاء
عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن وقال مالك في
المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي و
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقرائتي عليه حدثنا القاضي ابو
الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره
ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر
بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد
وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل
ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل
محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري

الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه قال القاضي ابو
عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقرائتي عليه
قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي
حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي
عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن
علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي ابن ابي طالب رضي
الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن
في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد و
على آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال
بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك
فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات و
جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه
هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام

ونائرات الاحكام ونيرات الاسلام فواسنبك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم
افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنأت له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على
بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من
ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله
البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على
محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد و
كان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض
المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه
وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته و
علينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول
اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعن وهب بن الورد انه كان يقول
في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما
سالك احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة

يوم القيمة وعن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثنا
عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين
والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته و
اغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء
في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة
وفي حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره
من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره
الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة و
البركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة وقد ذكر محمد بن
ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وال محمد
كما رحمت على ابراهيم وال ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله
في السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم والدعاء له قال حدثنا احمد بن محمد
الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن
معاوية حدثنا النسائي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله عن حيوة بن

شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه وسلم عشرا ثم سلوا الي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه وقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير

قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته بها عشرا صلى الله كثيرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروي ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب صلوات الله عليه وسلم

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي صلى الله عليه وسلم ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن

والظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر
فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك
فقال ان جبريل عليه الصلوة والسلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال
فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما
فلم يبرهما فمات مثل ذلك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي صلى الله عليه
وسلم وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل
من ذكرت عنده فلم يصل علي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة قال ابو
القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا
الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من جفاء ان اذكر عند الرجل فلا
يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون
فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا
صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في
ذلك المجلس فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلوة من صلى عليه
وسلم من الانام قال حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا عبد المؤمن حدثنا ابن داسه حدثنا ابو داود

ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد
بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن
عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم
كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين
يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي
فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه
وسلم يصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان
صلوتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك
اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم
الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما
من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول
فلانا يقول كذا وكذا فصل في اختلاف الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
من سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروى عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره
ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف
من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلوة على
غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله
ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر رضي الله
عنه وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما
مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا و
الاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا
وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته وقيل
الاتباع هم الرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله
الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه
فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان
الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه

وسلم لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث
ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك
في الموطا من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر
وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون
واميل اليه ما قاله مالك وسفيان وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد
من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص
به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله
تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما
احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر
لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان
التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك و
ذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع و
الاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على
من صلى عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير
قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فكذلك يجب ان يكون الدعا له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهو
اختيار الامام المظفر الاسفرائني من شيوخنا والحافظ ابي عمر بن عبد البر

فصل في زيارة قبره وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا
صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم
من زار قبري وجبت له شفاعتي قال حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو
الفضل بن خيرون حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا ابو الحسن علي بن
عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا محمد بن عبد الرزاق حدثنا
موسى بن هلال حدثنا عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في
المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث
آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا
قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور
وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ولا تقولوا هجرا وقوله صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة وقيل ذلك لما قيل لان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس
بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث
اهل الجنة زيارتهم لربهم عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه وقال
ابو عمر انما كره مالك ان طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى
الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي
صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب
شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب
ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا

وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل
من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه
وملامس يديه ومواطئ قدميه والعود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه
من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين
مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن
ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني
السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس
بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك
في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم
على القبر رايته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي عليه السلام
السلام على ابي بكر السلام على عمر ثم ينصرف ورؤي واضعا يده على مقعد
النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي

الى القبر بيامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفى الموطاء من رواية يحيى بن
يحيى الليثى انه كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى صلى
الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وعند ابى القاسم والقعنبى ويدعو لابى بكر
وعمر وقال مالك فى رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر قال القاضى
ابو الوليد الباجى وعندى انه يدعو للنبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة
ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر من الخلوف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا
من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب
رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
هى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما
وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتان فى غير
الروضة اجزءتان وفى الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما
بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك وتسلم على
ابى بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم
بالليل والنهار ولا تدع ان تأتى مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك فى
كتاب محمد ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعنى فى
المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر
وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة عليها السلام بنت
النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبى صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى و
افتح لى ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبى صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك وفى رواية اخرى فليسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم انى اسئلك من فضلك وفى اخرى

وقل اللهم احفظنى من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبى صلى الله
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث
فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفى رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد اللهم افتح لى ابواب رحمتك
ويسر لى ابواب رزقك وعن ابى هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل
على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى وقال مالك فى المبسوط
وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من اهل المدينة الوقوف بالقبر
وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر وخرج الى
سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر
وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام المرة
او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا
عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا
ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل
المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأى
قال الباجى ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك
واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبرى
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به

ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله
عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل
فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل يلزم من دخل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة
فيه وفي مسجد مكة وذكر منبره وقبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله
تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو
قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم و
عن ابن عباس انه مسجد قباء قال حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه قال حدثنا الحسين بن احمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري نا ابو محمد
بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفيان عن
الزهري عن سعيد بن مسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلوة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت فقال
رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال ابو الفضل
رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر
المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل قال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد

الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة رضي الله عنه صلى
الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا
المسجد الحرام قال الفقيه ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه
الى ان معنى الحديث ان الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا
المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من
الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي
فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره بالف
وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة و
هو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة
في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى
الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام
افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله
فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى افضل بقاع الارض قال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما
هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة
ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد

ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وعنه
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة و
مثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث
اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما
ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بين حجرتي
حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم
في هذا الحديث كما روي قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره
في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في
حجرته وهو بيته وقوله منبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحات يورد
الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروي ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا
وشفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها و
قال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه و
عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا
بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث
من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من
استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال
تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا قال
بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث

من احدث حدثا والجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم
تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت
انه من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج
حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله تعالى عند
الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله
عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه و
ما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك ابو العباس العذري
قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس
سمعت الحميد قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار
قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي
وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي
الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله

بتنى فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب قال ابو
على وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وارجو
من سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها قال القاضى ابو الفضل رحمه الله
قد ذكرنا نبذا من هذه النكت فى هذه الفصل وان لم تكن من الباب
لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
الفصل الثالث فيما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم او يجوز عليه
وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الآية
وقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلون الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الى انما الآية محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم و
القبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و
للبسنا عليهم ما يلبسون اى لما كان الا فى صورة البشر الذى تكنهم مخالطتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته
وقال قل لو كان فى الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل فالانبياء والرسل وسايط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم ما لم يعلموا من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرا على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات

بصفات الملئكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز
البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم و
مخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر
مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملئكة قال صلى الله عليه
وسلم لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة
الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى
ولا ينام قلبى وقال صلى الله عليه وسلم انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى
ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والا
عتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط
وتفصيل على ما ياتى بعد هذا فى البابين بعون الله وهو حسبى ونعم
الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة
نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله اعلم ان الطوارئ من التغيرات والافات على احاد البشر
لا يخلوا ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض
والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول
باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها والنبى صلى الله عليه
وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر
فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم
وتنزيهه عن كثير من الافات التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما ياتى به بعد من التفاصيل فصل فى حكم

عند قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان وبما اوحى الله اليه فعلى غاية المعروف ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم عليه السلام في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى اولم تؤمن اي ولم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال زيادة يقين و قوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن من هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث

بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب وان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبتك الله ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك وما اسئل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك فان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذا الاية الرحمن فسئل به خبيرا المامور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه

سل من ارسلنا من قبلك بحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا
من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق الانكار اى ما جعلنا حكاه
مكى وقيل امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه قال
لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل اسأل امم من ارسلنا هل
جاءوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذى قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت
به الرسل وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركى
العرب وغيرهم فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى اول الآية وقد يكون ايضا
على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك ولا تكونن من الممترين
بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغى حكما وان النبى صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى
شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت فى
شك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر
فضائلك وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان كنت فى شك من غيرك
فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالت
عائشة رضى الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها و
انما معنى ذلك الرسل لما استيأسوا وظنوا ان من وعدهم النصر
من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى
ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء وهو قول ابن عباس

ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد
كذبوا بالفتح ولا تشتغل بذلك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالانبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد فى حديث
السيرة ومبتدأ الوحى من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس
معناه الشك فيما اتاه من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى ان
لا يحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه او تزهق نفسه
هذا على ما ورد فى الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل
لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الشجر والحجر وبدأته المنامات والتباشير كما روى فى بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى فى اليقظة مثل
ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة
فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار
حراء الحديث وعن ابن عباس رضى الله عنه مكث النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمانى سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن
بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال
فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
فى غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت
من نومى كانما صورت فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون
ثم قلت لا تحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلا
طرحن نفسى منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسى
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان قوله

لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام
الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل
انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت
نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى لاسمع صوتا وارى ضوءا
واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتأول ان لو صح قوله فى بعض
هذه الاحاديث ان الابعد شاعرا او مجنون والفاظا يفهم منها معنى الشك
فى تصحيح ما رآه وانه كان كله فى ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام
الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما القى اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه
القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضى الله عنها أفلا اوجه
اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر
جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة لتتحقق صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى يأتيه ملك ويزول
الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وليختبر هو
حاله بذلك بل قد روى فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها ان ورقة امر خديجة
ان تختبر الامر بذلك وفى حديث اسماعيل بن ابى حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك
اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقى
وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم
فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها و
مستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول معمر فى فترة الوحى

الوحى فحزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا شديدا غدا منه
مرارا كى يتردى من شواهق الجبال لا يقدح فى هذا الاصل لقول معمر
عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبى
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبى صلى الله عليه
وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك
لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه
شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم و
اتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه و
تدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة
لامر او سبب منه فخشى ان يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه و
لم يرد بعد شرع بالنهى عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه
السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى
فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكى طمع
فى رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه وقيل حسن ظنه
بمولاه ان لا يقضى عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر
عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه أفظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبى ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ
مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف
بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل مستحييا من قومه ان يسموه
بالكذب او يقتلوه كما ورد فى الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما
امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبى آخر فقال يونس

غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسالة يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته عليه السلام فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين في هذا ما يغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشرية وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت له عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه فيه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا

وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك وليس في آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها

على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه واكنه من غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك
امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر على
اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى
الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال
مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء
بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز
عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
الاية وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى
الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه
ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل
فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني
لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم

ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله تعالى ولو تقول
علينا بعض الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء
من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعل
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا
الذين كفروا الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي
صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين
فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين فصل
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء عليهم
الصلاة والسلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا ولم ينقل احد
من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل
ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله
عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها و
اختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك
تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
معهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة
من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان

لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان
يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه
جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدء ولا
يشتبه عليك بقول ابراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والا
ستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء و
المفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم و
قيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اى على قولكم كما قال اين شركائي اى عندكم
ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة
عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي
الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل اى ان لم يؤيدني بمعونته اكن
مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
صلى الله عليه وسلم معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى
قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن

ميثاقهم اى عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد والديانة

في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في
حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومنه قول
الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانوا قبل ذلك فان قلت فما معنى
قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو الضلال الذي هو الكفر قيل
ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل
ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه
عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها
فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو
بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
لم يكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين
وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى
ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتي لك في الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ حسن
بن علي ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء و
وجدك ضالا اى محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك
القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين
اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك
فهداك لبيانه بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا
قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام

لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية
وقيل ووجدك لم يعرفك احد صح

قوله فعلتها اذًا وانا من الضالّين اى من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير
قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقيل
ذلك فى قوله ووجدك ضالاً فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان
تضلّ احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى قد قال معناه ما كنت تدرى
قبل الوحى ان تقرا القران ولا تدعوا الخلق الى الايمان قال
القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام قال
فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه
فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم
انه ليس بمعنا قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد
الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها
الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان ابن ابى شيبة
بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا
وقال موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان
وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا
يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند
اهل العلم من قوله بغّضت الىّ الاصنام وقوله فى الحديث الاخر
الذى روته ام ايمن حين كلمه عمه واله فى حضور بعض اعيادهم
وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا
فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى
وراك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله فى قصة بحيرا حين

بحيرا حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة
فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسئلنى بهما فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما
اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله
عليه وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين فى وقوفهم
بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه الصلوة
والسلام فصل قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان بما قدمناه
عقود الانبياء عليهم السلام فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم
فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها
مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين
والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه
وجده وقد قدمنا منه فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فى الباب الرابع
اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم فى هذه المعارف
تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها
على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها
وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل
الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين
هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من
امر الدنيا فان ذلك يؤدى الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد
ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر فى مصالح
دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء وسيرهم فى هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة
واما ان كان هذا العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبى صلى الله عليه
وسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل

عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده
فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي
فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن
للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده
الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه
ممن اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد ان لو قام على دليل لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق
في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار
الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه
وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله
وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها
عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء
من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه
واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله
وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة
واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا
بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه ولا يؤخذه فيما اعلم منه
شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم

العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر
على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم
سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقال تعالى
وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى
الله عز وجل وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا
منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع
والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع
الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي
رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني نا اسماعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد
بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني عليه فاسلم زاد
غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة بمعناه فاسلم وروي
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها
وروي فاستسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار
لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على كل احد من بني ادم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته
ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في

غيره سوطن رغبته في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه
اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر
فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان
اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي
الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء في بشهاب
من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه
بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطاء ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه
كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره
في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر
بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه
فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه
السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب
فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى
قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقال بعض المفسرين انها
راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك
غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ
هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي

اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره
الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه
به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه
فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له
ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة
ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه
الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال
فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته و
سياق الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله وقد حكى
السمرقندي انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان
عليه السلام وغلبته عليه وان مثل هذا ومن قال ان الجسد هو
الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام و
قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول
ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا
بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه
الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع
وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقوله

نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا
واد به شيطان وقول موسى عليه السلام وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم
ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم
كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال الله تعالى كانه رؤس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع
لا يلزمنا الجواب عليه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال
الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن الكريم وقصة يوسف
قد ذكر انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن ورب
الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف وايضا فان مثل هذا من
فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وانما
هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا
واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه
ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلوء الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا
واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة اما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف في ذلك
فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة
اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك

ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي
ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين
انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن
ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالتي
الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا
رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال
نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ
عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم
ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان
يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق الاسفرايني فصل
وقد توجهت هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى و
يروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى
وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية

ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين
فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية
فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق
القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل
الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلاة
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول حدث نفسه فسها
واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم
الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الروايات
ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها
احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة
واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا
هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد
بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك

فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك لما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار والذي منه
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد
معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل واما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على
عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما
من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله وهو كفر
وان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه
ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في
حقه صلى الله عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من
قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من ذلك كله وقد
قررنا بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر
على قلبه ولسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك
مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا
وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض
الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان
النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه و
وجه الثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة

القلوب والجلة من المسلمين لنفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على
النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم
الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى
شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة
الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت
بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة
اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه
الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة
فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او
الجن هذا الحديث على مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه
رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين
وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وانه قال افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم
الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري
القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه
اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرنا

ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها
فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده
الكفار وراموه من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى
الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على
تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من
حال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما رواه قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته
سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم
وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة
من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول
الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال و
سها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان على لسانه وقيل
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير و
التوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن بعد بيان الفصل وقرينة تدل على
المراد وانه ليس من المتلو وهذا احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع
والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على
تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن
ترتيلا ويفصل الآي في قراءته تفصيلا كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد
الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعه من دنى اليه

من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ورفع
ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى و
تحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها
ما عرف منه وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان
المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين و
قلوبهم وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم
غلطا ولا سهوا ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية تمنى يعني تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية
هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه
وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابو بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القران انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس في القران بل السهو عن اسقاط
اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر
للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز
ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملوكة على هذه الرواية وبهذا فسر
الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون
الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في
هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من
قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على
ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه

وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم
اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للوسواس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال
الله لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي
شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا
هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا
الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك عليه واذاعوه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم
عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما
لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ومن ذلك ما روى من قصة يونس عليه السلام
انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان
ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال
لهم ان مهلكهم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر
يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله
تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي

فى الاخبار انهم واقواد لاهل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال
سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثواب الغمر فان قلت فما
معنى ما روى من ان عبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم انى كنت
اصرف محمدا حيث اريد كان يملى على عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب فى حديث اخر يقول له النبى صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كذا ما شئت
يقول له عليما حكيما فيقول له سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفى الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب النبى صلى الله عليه وسلم
بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت
فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق با
لباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع فى قلب مومن
ريبا اذ هى حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من
هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن
احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله و
افتراه على نبى صلى الله عليه وسلم وانما يفترى الكذب الذين لا
يومنون بايات الله الاية وما وقع من ذكرها فى حديث انس و
ظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع
وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع
عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من
ثابت قال القاضى ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج
اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز
بن رفيع عن انس الذى خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه

وليس فيه عن انس قول شى من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصرانى ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح توهيم للنبى صلى الله
عليه وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن فى نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو
صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم ومما املاه الرسول يدل عليه و
يقتضى وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك فى العارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته
مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك فى جملة الكلام كما لا
يتفق ذلك فى اية ولا فى سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان
صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الايات وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبى صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما و
توصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها النبى
صلى الله عليه وسلم قبل ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه فصوبها
له النبى صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ
كما قد وجد ذلك فى بعض مقاطع الاى مثل قوله ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد
قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك
جاءت كلمات على وجهين فى غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتتا
فى المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها ويقص الحق وكل هذا
لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبى صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبى صلى الله عليه وسلم الى الناس
غير القران فيصف الله ويسميه فى ذلك كيف يشاء فصل هذا القول
فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التى

لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في
امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال
سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم
الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت و
عن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا
استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى
الله عليه وسلم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا
اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال
عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اثاره واخباره وسيره وشمائله
معتنى بها مستوفى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله
عليه وسلم لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما اشار به
على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من
الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله اني لا احلف على يمين
فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني
وقوله انكم تختصمون الي الحديث اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر
كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي يليه ان
شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد
في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره
واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك
المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ

الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية
والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة
والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها
من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه
النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين
وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح
في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على
الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد
ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم
واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به
من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل على عصمة نبينا صلى الله عليه
وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار في الباب الثاني اول الكتاب
ما يبين ذلك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث السهو الذي قال حدثنا به الفقيه ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله
ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي
احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلوة
يا رسول الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
ذلك لم يكن وفي رواية الاخرى ما قصرت ولا نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وكان احد ذلك كما قال ذو اليدين

قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في
ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والا
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة
ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في
خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره
في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق
باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده
وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به و
هذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني
سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل
وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله
اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان
احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله
ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه
الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه
كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره
بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
روايات الحديث لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت
الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه

وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق
انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر
وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان
قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله
من حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت
خلف في قول وعندي ان قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك
الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي و
الدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لانسى
او انسى لاسن اني واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة
في الحديث انها كذبات ثلاث المنصوصة في القران منها اثنتان قوله
اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد
لا في غيره وهي داخلة في الباب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب
اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق
معترض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفرهم وعنادهم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته

عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه
ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب
ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه
لم يتكلم بكلام صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من مؤاخذته
بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها
فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره
وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره و
التعريض بذكره لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا
اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبدنا
بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبانا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم
انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم
احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه
ولا شبهة وعلى طريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان
حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن
اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه
وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم

من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى عليه السلام
اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول
عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ولانه لم
يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية
نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه
الرذائل الانبياء عليهم السلام فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من
عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث
احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون
الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل على انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
انه فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره
الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه
واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص في قضايا معينة
لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض المشايخ كان موسى اعلم
من الخضر فيما اخذ من الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال
انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع
فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون

من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا
النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من
الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت
طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في
الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت اخرى من المحققين من الفقها
والمتكلمين الى عصمتهم صلوات الله عليهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر
قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك
وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي
منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في اي
امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال
في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر اذا لم يتب
منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابي
بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا
ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر
وكثرتها ان يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم
عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري
بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان قبيل المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة
المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقهاء على
ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل
مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد
وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار

القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري
وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية
وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو
جوزنا عليهم الصغائر لم يكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل
من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة
بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا
فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب
عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء
بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين
الصحابة رضي الله عنهم قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم
في غير شيء مما بابه العبادة والعادة بقوله رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا خبرتيها اني اقبل وانا
صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل
هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والاثار في هذا اكثر من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على
اتباعهم افعاله واقتداءهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها

لما اتفق هذا والنقل عنهم ونطق بحجتهم عن ذلك وانما انكر عليه السلام
على الاحمر قوله واعتقاده بما ذكرناه واما المباحات جائز وقوعها منهم
اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدى غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله تعالى والدار الآخرة
لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال
نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر
انبيائه صلى الله عليهم اجمعين بان جعل افعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالف ورسم المعصية فصل وقد اختلف في عصمتهم
صلى الله عليه وسلم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها
آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل
ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي و
النواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا
صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة
القاضي ابى بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر
من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به
اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شئ من ذلك جملة
وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون

ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي
طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابى بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك
قطع الحكم عليه بشئ في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابى المعالي وقالت فرقة ثالثة
انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات
الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما
قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته
من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة
عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى ان
اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف
بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد
ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم
من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم
اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال
الى النقل فاين تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله
ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان

في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعد تعلق الخطاب به وترك المواخذة
عليه فاحوال الانبياء في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع امهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعليق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما
يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول
في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فلذلك قالوا الافعال في
هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة
التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا
مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال
البلاغية والاحكام الشرعية سهوا ومن غير قصد منه جائز عليه كما
تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من
سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني نعم بل حال النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه
وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان
القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون بحكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على
قول آخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله صلى الله
عليه وسلم وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات

والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق وسياسة الامة
ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال
بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى
منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم
في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى فصل في الكلام
على الاحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصل
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي
الاقوال الدينية قطعا واجزناه وقوعه في الافعال الدينية على الوجه
الذي رتبناه واشرنا الى الوارد في ذلك ونحن نبسط القول فيه فالصحيح
من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلوة ثلاثة احاديث
الاول حديث ذي اليدين رضي الله عنه في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية
على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل
اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه ان لا يقر على هذا السهو
بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
السهو والنسيان في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة
ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا
كذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم
اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي
اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي

ابو الوليد الباجي يحتمل ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في
النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو
وانسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه
اذ كان له بعض السبب ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة
قال النبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يسهو في صلوته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه
كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى فقد اثبت الوجهين ونفى منافاة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا
عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره
منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن
انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة
لقبه كقوله عليه السلام بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه
نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها
ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل
بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك
يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من
ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت
الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا
فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلوة

الصلوة يوم الوادي وقال ان عيناي تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء
عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب
الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا
التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول
بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده
الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر
لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه
النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه
وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على
وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر الا تراه في
اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم
يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة
الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير
هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل
في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل
بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان
قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه
وسلم اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه
عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القران اي ان الغفلة
في هذه لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو
او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله

عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر على
طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلوغ ما امر ببلوغه وتوصيله الى عباده ثم
يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلوغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل
خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه فصل في الرد على من اجاز المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلائل على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه
والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك
قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا
كتاب من الله سبق فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الآية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى آدم
ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله
عما يشركون وقوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك
اني كنت من الظالمين وما ذكره من قصة داود قوله وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى ناب وقوله ولقد همت
به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى

فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقوله النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء صلوات الله عليهم في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني
الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن
موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا
قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل
المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور لك وقيل ما كان
قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد
بذلك امته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما
تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال
مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا مخاطبة لامته وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية
وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
هاهنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك

لا تثقلت ظهره وحكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من
اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل اذ حططنا عنك ثقل
ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما
استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من
جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته و
حرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع
عصمة الله وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله له بحفظ ما
استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه
معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه
وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل
ما شاء فيما لم ينزل فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت منهم فلما
اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه
لا حرج عليه فيما فعله وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف
كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي
روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى
السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعني

بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا والاستكثار منها وليس
المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق
واختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان
لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين با
القران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا
انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل
كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاءوا
القتل وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا
وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين
لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل
عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من
اخذ باخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية
لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم
ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحلة لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم
بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله
عن ذلك قال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان
قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن
كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان
على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى
اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله الله تعالى عبس وتولى الايات فليس فيها اثبات ذنب له
صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي
صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه
واستيلافا كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله من ذلك
اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه
بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما
الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل
فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله من ذلك
بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية وقيل نسي ذلك بما اظهرها وقال
ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما
ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار
وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على

ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف
لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية و
كذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول
نهي الله عز وجل عن شجرة مخصوصة لا على الجنس وهذا قيل انما كانت
التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال
فتاب عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا اخر الفصل ان شاء الله واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى
الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه
فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم
وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
فاما ان يكون لخروجه عن قومه لغير اذن ربه او لضعفه عما حمله
او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا

اذا كان السبب فى وضعها غير الموضع الذى انزلا او اخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى
حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه واواب
قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود
ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على
ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان يعول
عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل خشيته على نفسه وظن من الفتنة
بما بسط له من الملك والدنيا والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود
عليه السلام من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من
المحققين قال الداودى ليس فى قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن
بنبى قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان فى نعاج
منهم على ظاهر الاية واما قصة يوسف واخوته عليهم السلام فليس
على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام
على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط وقيل انهم كانوا حين
فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين
اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة
فبعد هذا والله اعلم واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا
ان رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم

عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه
اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه
النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو
عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ
نفسى الاية اى ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان
يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير ولقد همت به ولولا ان رأى
برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقد قال تعالى
وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية
قيل ربى الله تعالى وقيل الملك وقيل هم بها اى بزجرها ووعظها وقيل هم
بها اى غمها امتناعه منها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل
هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما
خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذى وكزه فقد نص الله انه من عدوه
قيل كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه
قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك
فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل القاؤه فى التابوت فى اليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل
الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع

في اختيار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان
موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة
ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين
على هذا المذهب اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء
عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة
سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا
سليمان فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة
واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو
الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل
بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل
لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم
وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
خرافاتهم مما فعله ومن تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته
والجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطوا على مثل هذا وقد عصم الانبياء
من مثله فان سئل لم لم يقل سليمان عليه السلام في قصة المذكورة ان شاء
الله تعالى فعنه اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان

نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه قوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان
لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول
من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على
نبوته كالانة الحديد واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ
فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك واهلك فطلب مقتضى
هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله
عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح
وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا التأويل
وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل
هذا لا يقضي على نوح بمعصيته سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال
فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق
قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس
في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة
وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا
النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة فلما اذته النملة تحول برحله
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله ما يوجب عليه معصية بل ندبه
على احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه و
قطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا امرا نهي
عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار

منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا الم
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال صلى الله عليه وسلم فالجواب عنه كما قدمنا
من ذنوب الانبياء التى وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان
قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصى بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
وما تكرر فى القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شئ فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة
الانبياء عليهم السلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده
عظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق
من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها
ولا امروا بها ثم وخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة
بها واتوها على وجه التاويل والسهو او تزيد من امور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى على منصبهم ومعاص بالنسبة
الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ
من الشئ الدنى الرذل ومنه ذنب كل شئ اى اخره واذناب الناس رذالهم
فكان هذه ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفى
والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر
والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليها هذه الهنات فى حقه كالحسنات
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى على احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله فغوى اى جهل ان تلك الشجرة
هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد وخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى

اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين قيل انسى
يوسف ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبى صلى الله عليه
وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبى كثرة البلوى
وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق
لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة
الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم
من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم
يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال الله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت
اليك انى اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له
الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى
الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر
منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى
ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة يونس
نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا فيقال لهم فانكم ومن
وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف فى عصمة الانبياء
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هى مغفورة على هذا فما معنى
المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهى مغفورة لو كانت
فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة
استغفار النبى صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه

ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى الله
عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
اني اخشيكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء
خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن
بهم اممهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين
استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل الباب قد
استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم
عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة
بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع
واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول
منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح كما
يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق
قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه
وسلم ويجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في
بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين

الذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي رحمه الله هذه اكرمك الله احدى فوائد
ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى
ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه
متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبتنى
عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة
منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم
واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله
عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط
بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن
اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم
يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في
الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ
على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي عليه الصلاة و
السلام وسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في
عصمة الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام اجمع المسلمون
بان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم
النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء و
التبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة
الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله الليل والنهار لا يفترون وبقوله ان الذين عند
ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون

ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة اخرى الى ان هذا خصوص للرسل منهم
والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه جنابهم الرفيع عن جميع ما يحط من
رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في غيرها
من الفوائد التي ذكرنا سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا
فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله
ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان
او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله
وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن
الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه فقد كفر ومن تركه آمن
قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما للناس له تعليم انذار اي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا
فانه سحر فلا تكفر فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه
ينزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان
يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر

والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقال خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول
ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان فاكذبهم الله في
ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا
وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن
بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نافية على
ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما حكاه السمرقندي والقراءة بكسر
اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس
عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا
يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا
الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان
من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير
الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان
يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس
في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها الباب الثاني فيما يخصهم
في امور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل صلى الله عليهم من البشر وان جسمه وظاهره
خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كاس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيهم لان الشيء انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار

فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بهذه الغير فقد
جرح صلى الله عليه وسلم واوذي واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه
وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى
نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان و
البلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو
اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا
صلى الله عليه وسلم ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل
الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم منه من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم
عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيير
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها ومعاناة بني ادم لمشاكلة
الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا من ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال لست انسى ولكن انسى لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وقال اني لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره
وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم
الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه
وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى جاء في بعض الآثار انه كان

كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره
اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله
عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض و
سحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت
قد جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ ابو
محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد
بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن اسمعيل نا ابو اسامة عن
هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت سحر النبي صلى الله
عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز
عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان الحديث صحيح متفق عليه
وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى
التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في
امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كا
نواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه
او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما
هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا
حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر
من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد
ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر

اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر تخييلات وقيل ان المراد بالحديث
انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من الاجوبة لائمتنا
عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن
ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر
وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها سنة
فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله
عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنه
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه
انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون
معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله هذا اشد ما يكون
من السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه
فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى
شخصا من ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه
في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر

مما ذكر من اصابة السحر وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد انسا فصل هذا
حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد
والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه و
يظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما قال حدثنا ابو
بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد
بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي نا ابو احمد بن عمرويه نا سفيان نا مسلم نا
عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال
حدثني عكرمة حدثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر فاذا امرتكم بشيء من دينكم
فخذوه واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر وفي رواية انتم اعلم بامر
دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث
ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ
واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها
لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن
اسحاق انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر
اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة
قال لا بل هو الرأي والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء
من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة
بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع
عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما
هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم

مشحون القلب بمعرفة الربوبية مملوء الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما
سبيله التدقيق في حراسته واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد
تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق
مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما نبهنا عليه في باب معجزاته
من هذا الكتاب فصل واما ما يعتقده من امور احكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل
لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان
يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار قال حدثنا
ابو الوليد حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا
ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب
بنت ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية
الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق
فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات
الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعات الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده
ومخبات ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى
اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء
به في افعاله واحواله ومقتضى قضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه
ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك
القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من
سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي
فيها هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه

احكامه ويأتون بما اتوا به من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل
اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط
قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر
منه بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله
الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر
المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
صلى الله عليه وسلم لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته
عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة و
كل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا
هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذ تقول
في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة
من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله

اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد
قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه
سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين
في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان
الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه
وسلم مما كان اعلمه تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان ليؤثم
نبيه صلى الله عليه وسلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين مما احل لهم ولو كان على ما روي
في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته
ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من
زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم
به الاتقياء فكيف سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم قال القشيري وهذا اقدام
عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال
رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج
النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان
محمد ابا احد من رجالكم وقال لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
لابن فورك قال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله
عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي عن طلاقها
اذ لم يكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة ورد للنفس
عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه

فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسان الحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع
نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء
وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه
معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن
ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما
معناه الاستحياء اي يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى الله
عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله
على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله له هاهنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه
فصل فان قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع
احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي قال حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي
حدثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا نا
محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق نا معمر
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد غلب عليه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده

ابدا فتنازعوا فقالوا ماله اهجر استفهموه فقال دعونى فان الذى انا فيه خير
وفى بعض طرقه فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم يهجر وفى رواية هجر ويروى
اهجر وفيه فقال عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اشتد به
الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية فاختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر رضى الله عنه قال ائمتنا فى هذا الحديث النبى صلى
الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشى ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء
ذلك ما يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد فى شريعته من هذيان او اختلال
فى كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث هجر اذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى
اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه فى صحيح البخارى
من رواية جميع الرواة فى حديث الزهرى المتقدم وفى حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا
رويناه عن مسلم فى حديث سفيان وغيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل على قول القائل هجر او اهجر
دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه
وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد
انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك
من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهى رواية ابى اسحاق المستملى فى الصحيح
فى حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا
الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف

وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله عليه وسلم ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم
اوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة
بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأى عمر رضى ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر
اما اشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب
وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع
وقيل خشى عمر ان يكتب امورا يعجزوا عنها فيحصلون فى الحرج بالمخالفة ورأى
ان الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطى مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة
وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله
وعترتى وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبى صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب
فى الخلوة وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المشاورة والاختبار هل
يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة
اخرى ان معنى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لما
طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القصة بقول العباس
لعلى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
على هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعونى فان الذى انا فيه
خير اى الذى انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعونى مما
طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه
حديثه ايضا الذى قال حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى بقراءتى عليه حدثنا ابو على
الطبرى ثنا عبد الغافر الفارسى نا ابو احمد الجلودى قال نا ابراهيم بن سفيان نا

مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك
يوم القيامة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها
باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته فاجعلها له زكاة
وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك
عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله
اولا ليس لها باهل اى عندك يا رب في باطن امره فان حكمه صلى الله عليه
وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم بجلده
او ادابه او سبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه
وسلم لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره
ان تقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة وهو معنى
قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعله مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم
من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
ان يكون بهذا المراد ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته او سبه وانه
كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو
عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من
تعدى حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعوات على غير
واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل ما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الاجابة كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا اشبع الله
بطنه وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم
في غير حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا

سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه
وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما جاء في الحديث ان يجعل ذلك له
قربة وطهورا ورحمة
على المدعو عليه وانما كان ذلك لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من النبي صلى الله
عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه
لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية
لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث
ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة قال القاضي فان قلت فما معنى
حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه مع الانصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول
الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يقع
بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض
بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى
حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء
به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان
يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه
فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه
كما جاء في الحديث في افادة عكاشة من نفسه لم يكن لتقدحه الغضب عليه
بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري
اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة
ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديث الاخر مع الاعرابي
حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه
بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع
ادب لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه و
اما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه انما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما افعاله
صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمنا
ومن جواز السهو او الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى
العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها لنفسه الا
ضرورته وما يقيم به رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة
حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله صلى الله عليه وسلم منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة وقد
يركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح
امته ويفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلاف وان
كان يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل
هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان
مذهبه التحصن بها وترك قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث

الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله
فقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لا
تممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله
من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للعدو والكافر رجاء استيلافهم و
يصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته و
يتسمت في ملئه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا
يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان
من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب
بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من مداراة الدنيا الى السياسة
الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي
وقوله فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر
حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في
بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل
فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة

رضي الله عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها
صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال
اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم
الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال عز وجل وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط
الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء
ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد
بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا
تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه
وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي
لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد
قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى
على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل
على ان فعل يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى عز وجل وكذلك كدنا ليوسف
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله واذا كان ذلك فلا اعتراض به
كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما
جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيجب عليه جواب بحل شبهه ولعل قائله ان حسن له التاويل كائنا من كان
ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير
هذا ولا يلزم ان تقول الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا
الاعتذار عن زلات فيهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم به من
البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وابراهيم ويوسف صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه
فاعلم اكرمك الله وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعا
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم
احسن عملا وليعلم الذين امنوا ويعلم الصابرين وحتى نعلم المجاهدين ونبلو
اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء و
التضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم
في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم وليلقوا الله طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل قال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا انا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو
علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم
بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد
بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه
وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبده امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر
اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان
اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن

لقمان انه قال يا بنى الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلوى وقد روى
ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته فى صلوته اليه ويوسف على اكل حمل
مشوى وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا
على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان
مضطرا فليعقد عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التى نص الله عليها وروى
عن الليث ان سبب بلوى ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فخاطبوه فى ظلمه
فاغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلوى ومحنة
لما ذكرناه من نيته فى كون الحق فى جنبه اصهاره والعمل بالمعصية فى ماده ولا علم
عنده وهذه ايضا فائدة شدة المرض والوجع بالنبى صلى الله عليه وسلم قالت عائشة
رضى الله عنها ما رأيت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
انك لتوعك وعكا شديدا فقال اجل انى اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفى الحديث ابى سعيد ان رجلا
وضع يده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدى عليك من شدة
حماك فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان
النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء
كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان
عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عائشة وابى ومجاهد
وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال فى رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة
يشاكها وقال فى رواية ابى سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم
ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفى حديث

حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحات
ورق الشجر وحكمة اخرى اوضعها الله فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها
وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم
مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف
موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى فى الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا وفى رواية ابى هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت و
كذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله
معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله
تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها
للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى
شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه
على المصائب ورقتها وضعفها بتوالى المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافا
فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله تعالى هلاكه
قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه
حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كانقعاف الارزة وكما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون و
كذلك عادة الله فى اعدائه كما قال عز وجل فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجا جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة وفى
حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اى الغضب يريد موت الفجاءة و
حكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت

فيستعد من اصابته وعظم تعاهده له لقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا لكثرة
الانكاد ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله و
قبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه
او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه
وماله وامكن من القصاص على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا
تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه
افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه
غالبا الكفار لامهال الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال
الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات
فجاءة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه وسلم
موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت
يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى
الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح او مستراح
منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة
مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان
الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار
صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره
الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه صلى الله عليه وسلم

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وسبابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال عز وجل
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله

رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية و
ذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها
من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى
ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى
الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة
لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا
ابا القاسم فقال له لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى
باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل
محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شاء الله تعالى ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب
لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته يا ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس
عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى
احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر
الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى

محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبيا
اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبيا ثم امسك والصواب
جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي
واخبره صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه
وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على
بابين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او
نقص من تعريض او نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او
نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له
او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من
الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه
او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء
وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر ابن المنذر
اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا
هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة و
اصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله

حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف
به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله
عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل
هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان
مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه
وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او
تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره
وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي
المصعب وابن ابي اويس سمعت مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين صلى
الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر
ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من
سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله
عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله
عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض
علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه
انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الحمال يتيم ابي طالب بقتله وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم

تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل وقال في رجل قيل له
لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما
قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله قال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول
الله العقرب فقال ابن سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله
وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت اباحة دمه وافتى
ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد ما عليك واشك الى النبي قال ان سئلت
او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على
الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي
العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء
بالله وانبيائه ونبينا صلى الله عليهم السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار
وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
عن القبلة فكان اية للجميع الناس وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن
عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يلغ كلب في دم مسلم وقال القاضي
ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب
والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه
صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا

او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتله
فانه لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا
اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان
او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة
من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من
مذاهب العلماء في ذلك وياتي ما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه
او عابه صلى الله عليه وسلم فمن القران لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى
اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله عز وجل وان اللعن انما يستوجبه من هو
كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى
اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم ولانه فرق بين اذاهما
واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال وكان حكم
مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر
يقتل وقد قال الله تعالى واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم و
قال عز وجل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه
واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي
اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية حدثنا محمد بن نوح ثنا
عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه

رضوان الله عليهم اجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي
الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره
يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار
ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق
ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير
انا فبارزه فقتله وروى ايضا ان امراة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال
من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلوه وروى ابن قانع ان رجلا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن
لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى
الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر فقال لولا ما فعلت لامرتك
بقتلها لان حد الانبياء عليهم السلام ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي
الله عنه هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها انا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام

ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر
الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل وغير واحد من
الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل
فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه لسبه اياك فقال
اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد
بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب
النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن
عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب اليه عمر انه
لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء صلوات الله عليهم قتل ومن سب اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية
رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل
على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
هي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون
متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب

او من كلمات الاستهزاء والأذى فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك
وهو كفر فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه
وقال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه
صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت
فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء
عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في كل الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم
الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري
الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك
امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتأليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه
فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن
خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة ممن لم ينظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف
وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير

زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن
المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما
كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها و
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا صلى الله عليه وسلم يطمع
في فيئتهم هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما
فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا
رحمهم الله عن هذا السؤال وقيل لعله لم تثبت عنده صلى الله عليه وسلم اقوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد
او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام و
انهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك
لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم
احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة
على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم
الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم
بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من
يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم
فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم
وظن العدو والظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت معنى
ما حررته منسوبا الى مالك بن انس ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء
الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهها لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي

صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن القصار وقال قتادة في تفسير قوله
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم
لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية
قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان
قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض
مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي
صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي
وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ
قالوا السام عليكم اذ ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي
لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسام والسآمة الملال
وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب
اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا
ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي
من اهل الذمة والعهد والحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في
ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم
يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل
وقد صبر صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله
عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم عن جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم

لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء
في الحديث الصحيح عن عائشة انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط
الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه
او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم منها وانما يكون ما لا ينتقم
منه فيما يتعلق بسوء الادب او معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما
لم يقصد فاعله به اذاه لكن بما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل
عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي لازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر
عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي
صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره فيجوز بفعل مباح
ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة انها بضعة مني يؤذيني
ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو
الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم
واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال
فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو
ان يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه
او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى الله عليه
وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في
حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب
بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن قصد
لرد خبره او يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته

وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتقد ذمه ولم يقصد سبه انما بجهالة حملته على
ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه او عجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في
الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في
نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قدمناه وقال محمد بن سحنون
في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره
او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى
ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن انه
يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل
وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله
واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان
حكم ما يحدث منها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل
الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او
وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع
يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى
الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا
بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة
واصحابه فمن برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع قال ابن
القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن و
انما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره
من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب

يستتاب وكذلك فيمن قال تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن
القاسم دعا الى ذلك سرا وجهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية
على الله تعالى وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه
الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل
عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد ولو قال انه مات قبل ان يلتحي او
انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته و
مواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة ان شاء الله تعالى فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره او يتردد في المراد به من سلامته
من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين
ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون
هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا
اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي
واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب
في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل
على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل
على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي

وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم
البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم
انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر قوله العموم لكل صاحب
فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل
من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التأويلات
لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الله
الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان و
كذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث
لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به بانه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهره سب الله تعالى ولا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى
سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس
من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول
ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب
من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا لو قال لرجل
هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى بن مناس
فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي
وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم
قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق

ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد
بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمه من
الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي
ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل
في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه
برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من
الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم
يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه الخامس
ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد
ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل و
الحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على سبيل التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او الهزل والتنذير بقوله
كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم او ان كذبت
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم
يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد
صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها
الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول والمتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من
فقير على ان هذا آخر البيت شديد داخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله
عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر
البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي
والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها

عنها وهو اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي
جبريل وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان و
كقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي
وزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد الى
امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير
من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ
الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء والملائكة
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه
في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء
في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته
لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون
مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى
وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه
او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان
الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف
لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة
منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في مثل هذا ما بسطناه في طريق الفتيا

الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر
من رواية ابن مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال له تعيرني بالفقر وقد رعى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت
الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا
تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا
على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن
رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه
حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه
جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
انما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما
ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا
ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله
ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب
غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على
العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة و
ليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان
النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه
مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم
اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي
صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك

قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور
رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد
السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك
حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف
الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان
اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح
له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق
الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب
حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ
عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه في الحقوق وجب
على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان
فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه ونصرته عن الاذى حيا وميتا
مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان
به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
ابو محمد بن زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال
ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد
به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه الادب واما الاباحة لحكاية قوله لغير
هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه

وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما للاغراض المتقدمة
فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله
في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه
علينا في محكم كتابه وكذلك من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان وقع
لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده
على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها
على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف
واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من
بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد ومعرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم
يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر
عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان
لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه
منك وهذا من مالك على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا
الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك
وكان مولعا بحفظه والاستخفاف له والتحفظ لمثله او طلبه او رواية اشعار هجوه
عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته
الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام
فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من
الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه
وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقدمين من المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته

الاشياء ذكرها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول لغير وثق الله مرتابا
والمفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر
الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه
استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق
الى عرض سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه كثيرا فصل الوجه السابع ان
يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من
الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس
زمانه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت به سنة العصمة للانبياء عليهم السلام وعنوان الغباوة صحا
من بابه امر من امر غيره وجعل شرفه في انه حطه سواه وحياته في انه
هلوك من علاه هذا شق قلبه واخراج مشرفته كان تمام حياته وغاية قوة
نفسه وثبات روحه وهو في حين سواه منتهى هلوكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
الى سائر ما روي من اخباره وسيره تقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسوية بين خطيرها وحقيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا
من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها موردا وقصد بها
مقصدا كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصد
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبيا
عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج
الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها
الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا
فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس
وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي

عجلان

عن

وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته
عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا
نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا
في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا
يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شي في حق الله ولا في حق انبيائه ولا
يتحدث بها ولا يتكلف الكلام في معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه
التعريف بانها ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون
الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس
واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا
يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم
ان يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره
وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره
فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ
في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ
وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل و
الكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار
بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة
واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده
علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
بعض الصغائر فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل

كذا

كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من
تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته
فيه ووجدت بعض الجاهلين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع
عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن
معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حق النبي صلى الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد
فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما ورده على جهة النفي عنه و
التنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة و
لا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في حكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة
اي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان
يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه الباب الثاني في
حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على
ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول
السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم
توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر
الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على
قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة
قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك اختلف في الزنديق اذا جاء

تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي
الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه
فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة
وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل
القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره
وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر
الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين
من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر
والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري سبحانه منزه عن جميع
المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته
وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد
والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف
او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد

وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما
على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال بعض
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل ويحكم
له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا
لثبات كلمة الكفر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه
واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب
فان قيل وكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه
من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه
بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه
وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر
على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه
او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر
بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها
واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى
فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد
اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب
قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي

والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق واصحاب الرأي وذهب طاوس ومحمد بن الحسن
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن
ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله
صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن
علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وعن ابن عباس لا تقتل النساء في
الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والانثى والذكر في ذلك سواء
واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد روي
عنه شهر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في
الاستتابة ثلاثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار وفي تأخيره
ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها
وقال الشافعي مرة ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني قتل وروي
عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه
ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا
تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي محمد الطابي يوعظ في تلك الايام ويذكر
في الجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي موضع حبس فيه من السجون مع
الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين

ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله
عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا
كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة
وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا
وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا
اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب
على القول بقبول توبته فهذا يدرء عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز
بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن
والشدة في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى
اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا
تاب نكل ولمالك في العتبية في كتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا
عقوبة عليه وافتى ابو عبد الله ابو عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الوجيع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عن القتل عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه
من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيود ما يطيق وقال في مثله
ممن اشكل امره يشد في القيود او يضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال في مسألة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد
عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما

ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم
يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل قال القاضي رحمه الله
هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير
الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض
شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
الاية ويستدل ايضا عليه بفعل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا
اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون
لكفرهم ايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن قاسم وابن سحنون بعد وحكى
ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب
لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم
يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه
لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم

يكن رجوعه الى الاسلام بالذى يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك رحمه الله فى كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من
الانبياء صلوات الله عليهم قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية وعند محمد
وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له
توبة وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان
يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبى صلى الله عليه
وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم فى ذمى قال ان محمدا
لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شىء عليهم لان
الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبى او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن
وانما هو شىء تقوله ونحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصرانى ديننا خير
من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففى هذا الادب الوجيع والسجن الطويل قال فى
واما من شتم النبى صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندى ان اسلم طائعا
وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمان بن سالم فى اليهودى يقول للمؤذن اذا
تشهد كذبت يعاقب العقوبة الوجيعة مع السجن الطويل وفى النوادر من رواية
سحنون عنه من شتم الانبياء صلوات الله عليهم من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذى به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل لم
قتلته فى سب النبى صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم
العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من
دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل
اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل كذلك ينتقض عهد

من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك
لا يحصنه الذمة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه
وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على
خلاف ما روى عن المدنيين فى ذلك ما حكى ابو المصعب الزهرى قال اتيت بنصرانى
قال والذى اصطفى عيسى على محمد فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته او عاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب
عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصرانى
بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه فى الجنة فهو الان فى الجنة ماله لم ينفع
نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى
ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها بشىء ثم رايت انه لا يسعنى الصمت
قال ابن كنانة فى المبسوط من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا فى سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم
المتقدمة قال فامرنى مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت
يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدى
بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله
بن يحيى وابن لبابة فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفى الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد فى النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم ابن القابسى وابن الكاتب وقال ابو
القاسم ابن الجلاب فى كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضى ابو محمد فى الذمى يسب ثم يسلم روايتين فى درء القتل عنه باسلامه وقال
ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمى اسلامه
وانما يسقط باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبى
او غيره فاوجب على الذمى اذا قذف النبى صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة

حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل بالاسلام ويجد تمامه فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث بشيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وتفصيل

وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه بين حسن وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلاف قولهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه

لا خلاف ان ساب الله من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسالة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت

في مثل هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد
بقتله وأن مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه والتعريض كالتصريح وأفتى أخوه
عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح
القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال
كلامه وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر
وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك استتابته
أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا
وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا
انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع
ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور
مذاهب أكثر أهل العلم وهو مذهب مالك وأصحابه على ما نبينه بعد ونذكر الخلاف
في فصوله فصل وأما من أضاف إلى الله ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة
من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في
تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم
إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم
فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في
جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف
لكتاب الله يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم

واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله في المبسوط في الإباضية والقدرية و
سائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب
وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
أنه كافر واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر وأبي
مروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم
كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد
أو سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن
مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس
حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي
أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين
جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف تكفيرهم
وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي
الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول
أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول وممن روي
عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن البصري
وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري أحكام الإسلام عليهم قال إسماعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية
وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض

كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله وإن لم يقتل قتل وفساد المحارب إنما هو في الأموال
ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من
العداوة **فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين** قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار
أصحاب البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى الكفر هو إذا وقف
عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم يخرجهم
من سواد المؤمنين وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال و
نورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم
في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع أصحاب مالك منهم المغيرة وابن كنانة وأشهب
قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا
على القول بالتكفير أو ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة
خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها
من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب
قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه
إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على
ميتهم ويختلف على موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال أيضا نورث ميتهم
ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر
خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري وقال مرة من اعتقد أن الله تعالى جسم
أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب
أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له
بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل فإن
استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطاء في ترك ألف وقد قال صلى الله عليه

وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث في الباب المعرضة
للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته
الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء
فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك
وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا
للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية
وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال
فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به
من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم هاهنا حد لا كفر وذكر
عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول
خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل
قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
إليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق منه
الإسلام بشيء أجابه الآخر أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله و
يتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم
يقل من هذه وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض
وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث

يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم
من الامة بمن ولا على ادخالهم فيها بفي لكن ابا سعيد اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه
عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من
الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر
بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله
تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا
قديما لا يقال له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبني
عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من الباب ففاسق الا
ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك
فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه
آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او غيرهم قال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا
المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى
واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر
لان التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
او شك فيه والتكذيب او الشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف
اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة
صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم

واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان
او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب
واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة
واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور
او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل
شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى
مجالسة الله سبحانه والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض
المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم
او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح
وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كا
البراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان
عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة
وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية
وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به
ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيامة
والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه

او انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازراه عليهم او اذاهم او قتل نبيا
او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان كل
جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ونحو ذلك
ويحتج بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبياء
هذه الاجناس من صفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف
من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود
او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومات نفي له وتكذيب لانه وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا
صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود والقائلين بتخصيص رسالته
الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الروافضة
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام
عند هولاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان اشباه هولاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم
انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل
من ثمارها ويعانق الحور العين فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين
وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه
المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هولاء الطوائف كلها قطعا اجماعا
وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا
مجمع على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة
المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير

وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الروافضة بتكفير جميع الامة بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في
التقديم فهولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع
نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا اشار والله اعلم مالك في احد
قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم
على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنهم الله
وصلى الله على رسوله محمد واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم
والشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزي
بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من
كافر وان هذه الافعال علامة الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع
المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد
علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير
كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد
ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا
وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد به في القران نص جلي والخبر به عن الرسول
صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج
ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا
بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام
او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على
هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هي
تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير

غلطوا ووهموا فيها وشبهه لا مرية فى تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسئل عن هذا الذى لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة
الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هى مكة والبيت الذى فيها هو الكعبة والقبلة التى صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هى صفات عبادة الحج والمراد به
وهى التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوة المذكورة
هى التى فعل النبى صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع
لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب فى ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادرى ولا يصدق فيه بل ظاهره
التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدرى وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة فى جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم
انه ليس بحجة للنبى صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطى ومعمر الصيمرى انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة فى كفرهما بهذا القول وكذلك
نكفرهما بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حجة له او فى
خلق السموات والارض دليل على الله سبحانه وتعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبى صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من
انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذى فى ايدى الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره
واما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبى صلى الله عليه وسلم

وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار او البعث والحساب والقيامة
فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف
بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة
الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
فى قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلاد التى لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكار
غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابى بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة على مما علم بالنقل
ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل
ومحاربة على من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا الباب
قالوا بتكفير من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما
وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله صلى الله
عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع
على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف
الاجماع الذى يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف فى تكفير من خالف
الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع
السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون هو الجهل بالله فان
عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او
يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر

بالله قال فهذان الضربان وإن لم يكونا جهلا بالله فهما علم أن فاعلهما كافر منسلخ من
الإيمان فأما من نفى صفة من صفات الله الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفة الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى
هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمنا
فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى
أبي جعفر الطبري وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة إلى أن هذا
لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث
السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن
قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث
بوجوه منها أن قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس
البعث الذي لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك
به حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق
ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل إنما قال ما قاله وهو غير
ما قل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهبت
لبه فلم يؤاخذ به وقيل إنما كان هذا في زمان الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى
تجاهل العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو
إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم
ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم
انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى

بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم
إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه
لنا ونعتقده نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين
المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران و
إجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلاة عليهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد
الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان
نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة
أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق
وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين
فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من
جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما
عن إعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب الله بغير ما هو عليه من
دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلب فهرب وقال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم
الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوط طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرى
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من
الأديان الله بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوط

المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال مطرف وابن عبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن زيد من سب الله
تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا
قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها بالوجه الذي
كفرت به لسبها الله تعالى والنبي واجماعهم على ذلك وهذا من نحو القول الاخر في سب
النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق بين سب الله تعالى وسب
نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم والا
يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء
في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من
كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ
عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه
سبحانه وتعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والالهية فاما مفتري الكذب عليه
تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او نافي ان يكون الله خالقه او ربه او
قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في
كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه من شديد
العقاب ليكون ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته
وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن
معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال
ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض
وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان
الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع

فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل
الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ابو الحسين بن ابي عمر المالكي
وقال ابن الحكم في المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله
خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد
وفي العتبية فيمن تنبا يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقال سحنون وغيره
وقاله اشهب في يهودي تنبا وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان
تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما
اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على قول الاخر بانه لا يقبل
توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان
عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من
تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته
او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب
وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه
ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير
بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم
باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه

وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
وتوبيخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت منه من ذلك الجهة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة
معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن
رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على
وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وشرح قوله انه لا قتل
عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة
ربه كفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا
الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وقلمنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان
كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا
الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة
والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله عز
جل منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم
احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا
وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا
اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه عز وجل وفي ذكر صفاته اجلالا
لاسمه جل جلاله ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا
الباب بمنزلة في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والموفق الله فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلوات الله عليه وسلم على

على سياق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الاية وقال قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل
امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في
كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من
اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد
تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض
اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من
الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك من قال ان جبريل اخطأ بالوحي
وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه
بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد
من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد او شك في شيء من ذلك
وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف
انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله فيمن تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة
والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر
المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم
والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء
وعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول
الخبر بهم فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة
او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة وكالخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي

يدعى المجوس والمؤرخون بنبوته فليس الحكم فى سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قد سماه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب
بقدر حال القول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت
نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم فى ذلك
من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء فى ذلك وان كان من عوام الناس زجر
عن الخوض فى مثل هذا وقد كره السلف الكلام فى مثل هذا مما ليس تحته عمل
لاهل العلم فكيف للعامة. فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشئ منه
او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشئ منه او كذب بشئ مما صرح
به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
فى شئ من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد حدثنا ابو على ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد
بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المراء
فى القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه و
كذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها
او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو فى جميع اقطار
الارض مكتوب فى المصحف بايدى المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله
رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام ووحيه المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذى وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا
لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية
لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اى لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم

بن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن بن مهدى
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا
ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على
من قال بان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال بان الله عز وجل
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل
كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما
انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد
كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به
كله ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد
كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل
القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة
فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت
توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثانى علق
الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشئ من عند الله
لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل
وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين
بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس فى المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير
ابى على ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان ممن افتى عليه
بذلك ابو بكر الابهرى وغيره وافتى ابو محمد بن ابى زيد بالادب فيمن قال لصبى
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن واما
لاعن المصحف فانه يقتل. فصل ومن سب آل بيته صلى الله عليه وسلم وازواجه
واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله قال حدثنا القاضى الشهيد
ابو على رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل العدل قالا ثنا ابو يعلى

النبي ثنا ابن محبوب نا الترمذي قال نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابراهيم نا ابو
عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي ومن سبهم فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال
لا تؤذوني في اصحابي فان من اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة
وقال في فاطمة عليها السلام هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء
في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الوجيع قال مالك
رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه رضوان الله
عليهم ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص رضوان الله عليهم اجمعين فان قال
كانوا على ضلال او كفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا
شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان رضي الله عنه
والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما رضوان الله عليهم يوجع ضربا وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلال
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من اصحابه بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن

وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له
لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن
ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه في
اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله عنها ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم نفسه في تبرئتها
من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى
هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله
عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل
وكان حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله
عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن
ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب
انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال
دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى
ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان
له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الآية وهم الانصار ثم قال
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا
اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي
فاجلدوه وقال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان
احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان

١٤

على الامام بتول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بتهم عليه
الا الصوم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولى القيام به قال ومن سب غير عائشة
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسب حليلته والاخر انه كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول قال
ابو المصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو
الشعبي فقيه الفقه في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال وان كانت بنت ابي بكر الصديق ما
حلفت الا بالنهار وصوب بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر
عظيم يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله احق باسم
الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة
فيه وبيغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل
هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به
حد الموت وذكر وتكرر ذلك ابو حفص رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
واستوفى الشرط الذي شرطناه مما رجوان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج
بغيته منزع وقد سفرت فيه عن نكت غريبة وتتبع ودعت في شارب التحقيق لم
يورد لها قبل اكثر الغايا يفيد مشرع واودعته غير ما فصل وددت من سبقني الى الكلام عليه
او مفتديه يفيد به عن كتب اوجبه لاكتفى بها او ويفارق ويه وولي الله تعالى جزيل الفرائد
في النية في قول سانسه لوجهه والعفو بما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه صلى الله عليه وسلم وامين وحيه وانهاره
جفونا التبع فضائله واعلنا جنه خيرنا من اراء حماية وساثره ويحيي انفاسنا
الموفقة الي ثنا كريم هو منه ويجعلنا في الارزاد الزيد للمبتدا منجز منه ويجعله لنا ولمن اهتم
بالكتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة يجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة
القدرت لحقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل

وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا يخذل من خذله ولا يرد دعوة
القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين
اللهم ربنا يا ربنا اغفر لكاتبه وارحم ابوينا ولاستاذنا واجدادنا
واجداد اجدادنا ولمن له حق علينا ولمن نظر وقرأ هذا الكتاب والله المرشد والموفق على سبيل السداد والصواب
ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات
اللهم بحق الانبياء والصالحين اقض الحاجات واكشف المهمات
اغفر ذنوبنا واشرح صدورنا واقض ديوننا واختم بالخير جميع العاقبة
واختم بالسعادة اجالنا وتب علينا بشفاعة محمد المصطفى معدن العلم والحلم
والوفا صلى الله تعالى عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وسلم اجمعين
وعلى سائر الانبياء والاولياء والمرسلين والملائكة والمقربين من اهل السموات
والارضين وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين امين

قد وقع الفراغ هذه الكتاب الشريفة والنسخة اللطيفة
على يد اضعف العباد غبار رهگذر حضرت شاه
خواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره
مير محمود بن الحاج علي بك المرحوم
من خلفاء مكتوبي حضرت
سيد آل پقتا هي غفر لهما

سنة من شهر المحرم الحرام لسنة ستة وتسعين ومائة والف من الهجرة